١٨٣

سلوان المطاع

محمد بن ظفر
المكي

ن




King Saud University 1957

٦١٨
ظ
سلوان المطاع في عدوان الاتباع، تأليف محمد بن عبد الله،
ابن ظفر الصقلي -٥٦٥هـ. خط سنة ٦٥١هـ.
٩٥ ق ١٣ س ٢١×١٥ سم
١٩٢ نسخة جيدة، نفيسة، السلوانات بماء الذهب، طبع.
الاعلام ٧ : ١٠٧، الأزهرية ٣ : ٥٨٥
١- الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية
أ- ابن ظفر، محمد بن عبد الله-٥٦٥هـ ب- تاريخ
النسخ

ج- السلوانات.

٦٢٠ ...

كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع

تصنيف الشيخ الفقيه الامام

حجة الدين ابي عبد الله

محمد بن محمد بن ظفر

المكي عفى الله عنه آمين

وقف لله تعالى هذا الكتاب سيدنا ابو العباس ... الداودي ... الاوفا

ام

طالعه متاملا لمعانيه

داعيا لمالكه بالبقا وعلو الارتقا

كتبه الحقير خضر علي المتساعدي المالكي

في العشر الاوسط من شوال

في ... ١٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله الفقير اليه محمد بن ابي محمد بن ظفر
عفى الله تعالى عنه ان شكر الله سبحانه لابسني الملابس
الفاخرة وان حمده لاعود بخيري الدنيا وخير الاخرة
فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا والمحبوب
في المكروه كمينا الذي ضرب دون اسرار الاقدار
حجابا مستورا وقضى ان الخير على الفطن حجرا محجورا
واوطا المستسلمين لمشاياه ممهودا وثيرا وامطا
المتبرمين بكناياه كنودا عثورا وقال سبحانه
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
وصلى الله على المرسل شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا سيدنا المصطفى وسلم تسليما
كثيرا وبعد فان مما اقتضاني اليه اضطراب الاغتراب واتيا

الالباب

الالباب ان اطرفني الله سبحانه وله الحمد عواجاه مقيل
عثرات السادات السراه ومستقبل انفس الحمد حسنات
سائد السادة وقائد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي القسم
بن علي بن علوي القرشي بارك الله له فيما الهمه كسبه وكان
وليه وحسبه فلقد انزل الدنيا بدرك منزلها وكوشف
بتركه لها فعمل للبقاء لا للفناء وجمع للجود لا للغناء
وجاد لله لا للثناء واخى للتعاون على البر والتقوى لا للتمادي
في هوى الهوى وزان الرياسة بغير ان تضيق بنا له ذرعا
ولا تصغي الى الوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طبعا ومجلسه لا يرفع
الغضب لديه راسا وحرم لا يخاف الا بالله معه باسا فالحمد
لله الذي [illegible] اخا به حمى منيعا وحرما امينا ومربعا
مريعا وموردا معينا

شعر

تحريفه فيما اشبهنا وما اخبرناها واحسبها او [illegible]

من يقيننا ما نخاف وان ظننا به خيرا اراناه يقينا

نميل على جوانبه كانا اذا ملنا نميل على ابينا

واقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحق مرعي لاقرت
عينه بطي ما نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان
وفاي الله بعده ولا اتقاني جده يرى ان الشكر في وجوه
الايه ندوب والمدح من خواص اوليايه ذنوب فلا زالت
بالتوفيق له ناصره وخطا الشوايب عنه قاصره ومكانه
العلايه فاخره ومكايد الاعداء عنه داخره امين
امين امين وصلى الله على سيدنا محمد الامين وعلى آله
وصحبه الاكرمين وسلم عليه وعليهم في العالمين
ولما كانت الهدايا تعضد الشكر وتعززه وتزرع الثنا عنده
اب وتضاعفه احببت ان اهدي اليه هدية فايقة رايقة

الذي شغفه حبا والحكمة التي لم يزل بها صبا والادب
الذي استوعبه مولدا وكسبا واستعمره طلبا وقلبا
فاتحفته باساليب الغاية في احكام آية وهو كتاب ضمنته
احد عشر اسلوبا تقضي بسالكيها الى العلم بالظاهر والمستنبط
من قول الله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الاية ثم شفعته باسنى لاستشفاف العورة
والاشراف وهو كتاب استوعبت به مسايل ذلك الى الغاية الرفيعة
مشفوعة بحجج اهلها ثم عززتهما بدرة الغرر وهو كتاب انتظمت
به درر ابكار الانباء فاودعته منها ما عز مطلبه وبهر
حسنه وحسن ادبه ثم ردفت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت
فيه الى امثلة استاثرت بها خواص الملوك بصناعتها وسمعته الحبر
عليها من ذلك عنها فتوسعت بالتعبير بالفاظ عنها والتحيي
بعليها والتف من بقوى فطنتي فيها توسيعا لا يخطر شرع ولا

يتبوع عنه سمع ⊙ حتى إذا عادت أهلتها بدورا رابعة وأضحت
وردها لعما يانعة ⊙ نفثت في صورها أرواح الأخلاق الزكية
وكسوت جسومها الآداب الملوكية ⊙ وتوجت رؤوسها بتيجا ن
الهمم الأبية ⊙ وقلدت عواتقها سيوف المكايد الحربية
وصدرتها بآي من القرآن الحكيم ⊙ وأحاديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ⊙ إلى ما يلي ذلك من منثور الحكم ومو زونها
وأبكار الآداب وعونها ⊙ فبرزت روضة للقلوب
والأسماع ⊙ ورياضة للعقول والطباع ⊙ وسميتها سلوا ن
المطاع ⊙ في عدوان الأتباع ⊙ والسلوان جمع سلوانة
وهي خرزة تزعم العرب أن الماء المصبوب عليها إذا شربه المحو ب
سلا ⊙ قال الراجز
لو أشرب السلوان ما سليت ⊙ ما بي غنى عنك وإن غنيت
وهي خمس سلوانات ⊙ السلوانة الأولى في التفويض ⊙

السلوانة الثانية في التأسي ⊙ السلوانة الثالثة في الصبر
السلوانة الرابعة في الرضى ⊙ السلوانة الخامسة في الزهد
وأنا أرغب إلى الله سبحانه في الإمداد بالسداد ⊙ والإرشاد
إلى نفع العباد ⊙ فبه الحول والمنة ⊙ وله الطول والمنة ⊙

السلوانة الأولى
وهي سلوانة التفويض

قال الله ربنا تقدس اسمه ⊙ فعسى أن تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ⊙ وقال تقدس اسمه وعسى
أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ⊙ وعسى أن تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ⊙ فأستوقف من
عقل المرء عن الاقتراح عليه ⊙ وأفهمهم ما يرضاه من
التفويض إليه ⊙ والعاقل تارك الاقتراح ⊙ على العالم بالصلا ح
ووجه إفهام الأنبياء إلى التفويض منه أبين التبيين له

اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى
بذي البصيرة ان لا يامن المضرة بالمسرة ⊙ ولا ييأس من المسرة
بالمضرة ⊙ فيستخير الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا
من التفويض المستمر من الله سبحانه صرف البلا واللطف في مكروه
القضا ⊙ وبهذا عامل الله سبحانه مومن آل فرعون حين فوض
امره الى الله ⊙ وذلك ما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون
وخواص اصحابه ⊙ وكان وزرا فرعون وبطانته وظنوا الايمانه
واتباعه موسى عليه السلم ⊙ فاطلعوا فرعون على ذلك فلم
يصدقهم وعطفته على ذلك المومن القرابة ⊙ ولما ظهرت
آيات الله سبحانه على يدي موسى عليه السلم ⊙ بحضرة فرعون
جمع وزراه وبطانته بحضره واوقفهم ذلك المومن فشاورهم
في امر موسى عليه السلم ⊙ فاتفقوا على الراي مطاولة موسى
عليه السلم وجمع السحرة لمقاومته وكان راي فرعون معاجلة

موسى عليه السلم بالقتل وبذلك اخبر ربنا جل ثناؤه ⊙ قالوا
ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم
الآية ⊙ وقال عز من قائل وقال فرعون ذروني اقتل موسى
الآية ولما اطلع وزرا فرعون على رايه في موسى عليه السلم
امسكوا عن مراجعته هيبة منهم له واشفق ذلك المومن
ان يبطش فرعون بموسى عليه السلم ⊙ فقل صبره وضاق بسره
صدره فقال ما اخبر الله تعالى عنه ⊙ اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ⊙ ثم كانه استقال
وراجع التورية والتقية والحذر فقال ما اخبر الله تعالى
عنه وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم ⊙ فلما سمع فرعون مقالته غضب وامر بسجنه ⊙
وشاور بطانته ووزراه في امره فاشاروا ان يبسط عليه العذاب
ثم يقتله ليرتدع من كان على مثل رايه وفكره ذلك فرعون وعطفته

عليه القرابة وامروزراه ان يصيروا الى ذلك المومن فيعظوه
ويبصروه ويأمروه بمراجعته عما كان عليه من الطاعة
ويخوفونه عاقبة خلافه ففعلوا ذلك ولما سمع المومن
مقالتهم دعاهم الى الله واذكرهم ما عاينوه من الآيات
وحذرهم زوال نعمة الله عنهم وحلول مكره بهم وكان منه
اليهم ما اخبر الله عز وجل عنه في قوله تعالى ⊙ ولقد جاكم
يوسف من قبل بالبينات الآية ⊙ وقوله يا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد الآية ⊙ وقوله يا قوم ما لي ادعوكم الى
النجاة وتدعونني الى النار الى قوله فستذكرون ما اقول
لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد ⊙ فعاد القوم
الى فرعون واخبروه عن المومن يسونه على المشاقة والمنابذة
والمعصية لفرعون وان النصح لا يرده الا تماديا على امره
فساء ذلك فرعون وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا في امره

فاتته ابنته وسالته عن امره فاخبرها به واطلعها عليه فقالت ⊙
له ان عندي الفرج مما انت فيه فلا تعجل على خاصتك وذوي
قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما راى موسى قد امتنع بالسلطان ⊙
الذي في عصاه وان قتله مجاهرة غير متمكن تظاهر بما انكرته عليه
ليخدع بذلك موسى ويتمكن من ملاطفته وقتله غيلة فكلما رايت
وسمعته انه مكر بموسى وما منعه ان يطلع وزراك على ذلك
حين ذهبوا اليه الا انهم اهل تهمة وحسد وبغي وغدر لم يطلعوا على
مثل وفائه ونصحه فسر فرعون بمقالتها والقى الله تعالى في نفسه
تصديقها ⊙ فيقال ان آسية امراة فرعون هي التي امرها بذلك
فاحضر فرعون ذلك المومن واعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت
ما قضيت له وما انت ساع فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل
ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك ⊙ قال الله تعالى فوقاه
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب فهذه

الوقاية ثمرة التفويض ⊙ ثم قال ربنا تقدس اسمه وحاق
بآل فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك المؤمن
من التعذيب وان كان عذاب الاخرة لا يجتمع مع عذاب الدنيا
الا في الاسمية وهذا كقوله سبحانه ولا يحيق المكر السيء الا باهله
واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة التفويض هو التسليم لاحكام
الحكيم الذي دل عليه الله مصطفاه صلى الله عليه وسلم ⊙ بقوله
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فأمر التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لا يكون من
الخير ومن الشر شيء الا ما اراد الله كونه ⊙ ولا يصح التفويض لمن لا
يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والحث عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك
ما قدر يكن وما لم يقدر لم يأتك ⊙ واعلم ان الخلق لو جمعوا
ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا على ذلك

ولو جهدوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا وعلى
ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما
قدر يكن الى اخر الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض العقلا
وسلموا الى الله تعالى ونحو ذلك مما رويناه في مسند مسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم ⊙ قال لابي هريرة في كلام قاله له وان
ك شيء فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله
الله فعل وان لو تفتح عمل الشيطان فدله على التفويض الى الله
عز وجل والتسليم لامره ونهاه عن قول لو لما كانت منافية للتفويض
الى الله عز وجل وتقتضي الاعتراض على قدره والتعاطي لدفع مشيئته ⊙
ومما رويناه عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك
الايمن ثم قل اللهم اني اسلمت وجهي اليك وفوضت امري اليك
والجأت ظهري اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا

إليك منشئ كتابك الذي أنزلته ونبيك الذي أرسلته الحديث ۝

أسجاع وأبيات حكمية في التفويض

معارضة العلل طبيبه توجب تعديه ۝ إنما الكيس الماهر
من استسلم في قبض القاهر ۝ إذا كانت مغالبة القدر مستحيله
فمن عوائق نفوذ الحيله ۝ إذا التبست المصادر ففوض الأمر إلى القادر
أن من الدلالة على أن الانسان مصرف مغلوب ۝ ومدبر
ينبله ترابه في بعض الخطوب ۝ ويعمى عليه الصواب
فإذا كان ذلك كذلك فإن تهوره في تدبيره ۝ واعتد...
اجتباله ۝ وهلكته في حركته **قيل** كان الحجاج بن يوسف إذا
تعارضت عليه آراؤه في خطب من الخطوب أنشد هذا البيت ۝

دعها سماوية تجري على قدر لا تفسدنها برأي منك منكوس ۝

وفي ذلك قلت

يا من يعول في المشكلات على ما رواه وما دبره ۝

٨
إذا أشكل الأمر فارجع به إلى من براه منه ما لم تره
تكن من عطف بقينك المخوف ولطف يهون ما قدره
إذا كنت تجهل عقبى الأمور وما لك حول ولا مقدره
فلم ذا العنا وعلام الأسى وفيم الحذار وفيم الشره

وقلت في ذلك أيضا

يا رب مغتبط ومغبوط برأي فيه هلكه
[illegible] ملك ما يطغيه في الدارين ملكه
علم العواقب دونه ستر ولن يرام هتكه
ومعارض الأقدار بالآراء يشقى الحال تركه
فكن امرا محض اليقين وزيف الشبهات سبكه
تفويضه توجيه وعناده المقدور تركه

روضة رائقة ورياضة فائقة

لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك أن ابن عمه يزيد بن الوليد

بن عبد الملك فلما أوغر عليه الصدور ونفّر عنه القلوب واستجاش
الجن ونازعه رداء ملكه ساعيا في هلكه استوحش من بطانته
واحتجب عن سماره فدعا في عشية من عشايا وحشته خادما
له وقال له انطلق مستنكرا حتى تقف ببعض الطرق
وتأمل من يمر بك من الناس فاذا رأيت كهلا رث الهيئة
والملبس يمشي مشيا هونا وهو مطرق فسلم
أدنه ان أمير المؤمنين يدعوك فان اسرع
وان تلكأ واستراب او عارض فدعه واطلب غيره
برجل على الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فأتاه
برجل على ما وصف وشرط فلما دخل الكهل على الوليد بن يزيد
حياه بتحية الخلافة وقام فأمره الوليد بالجلوس والدنو وامهله
الى ان ذهب روعه وسكن جأشه ثم اقبل عليه وقال له
أتحسن مسامرة الملوك فقال الكهل نعم يا امير المؤمنين أحسنها

فقال

فقال له الوليد ان كنت تحسن المسامرة فأخبرنا عنها ما هي فقال
الكهل المسامرة اخبار المنصت وانصات لخبر ومفاوضة فيما
يعجب ويلهي ⊙ فقال الوليد احسنت ايها الرجل لا ازيدك امتحانا
فقل ننصت لقولك ⊙ فقال الكهل يا امير المؤمنين ان المسامرة
صنفان لا ثالث لهما احدهما إخبار بما يوافق خبرا مسموعا والثاني
اخبار بما يوافق غرضا مقترحا ⊙ واني لم اسمع بحضرة امير المؤمنين
حديثا فاحذو على مثاله ولا اقترح على امير المؤمنين سلوك
طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها ⊙ فقال الوليد صدقت
وها نحن نقترح لك ونرسم لك رسما تقتفيه ⊙ انا بلغنا
ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يضم ملكنا فأثر سعيه وشق ذلك
علينا فهل في ذلك الى علمك فقال الكهل نعم ⊙ فقال له الوليد فقل
الان على حسبما نمي اليك منه وعلى حسبما ترضى بالتدبير فيه
فقال الكهل يا امير المؤمنين انه بلغني ان امير المؤمنين عبد الملك بن

مروان لما ندب الناس لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها
إلى مكة حرسها الله استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان
عمرو قد انطوى على دغل نيته وفساد طويته وطماعيته في نيل
الخلافة وكان أمير المؤمنين عبد الملك قد فطن لذلك إلا أنه يبقي
عليه لتأكد حرمته وأواصر رحمه فلما فصل أمير المؤمنين عن
دمشق وسار عنها أياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد
فاستأذن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان في العود إلى دمشق
فأذن له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد على المنبر فخطب الناس
خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس إلى خلعه فأجابوه إلى
ذلك وبايعوه واستولى على دمشق وحصن سورها وحمى عورتها
وسد ثغورها وبذل الرغائب ⊙ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان
وهو متوجه إلى ابن الزبير وبلغه مع ذلك أن والي حمص نزع يده
من الطاعة وأن أهل الثغور قد تشوفوا الخلاف عليه فخرج على

وزراه

وزراه وفي يده مخصرة يضرب بها عطفيه فأطلعهم على ما بلغه
وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمرو
بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق
واليمن ومصر وخراسان ⊙ وهذا النعمان بن بشير أمير حمص وزفر
ابن الحارث أمير قنسرين ⊙ وناتل بن قيس أمير فلسطين قد نزعوا
أيديهم من الطاعة وبايعوا الناس لابن الزبير وقد تشوف أهل
الثغور للخلاف ⊙ وهذه المضرية يسيفونها على عواتقها تطالبنا
بقتلى المرج ⊙ فلما سمع وزراؤه مقالته ذهلت عقولهم وعلموا
أن لا مفر ولا مقر فنكسوا رؤوسهم ولم ينطقوا بحرف واحد
فقال لهم عبد الملك ما لكم لا تنطقون أحضروني غناكم مهما
ودون الحاجة إليكم فقال له أفضلهم رأيا أي غناء عندنا في
هذا ودونه والله أن نشجر بأعلى عود من أعوادها لمنة حتى
تنقضي هذه الفتن **قال عبد الله** الحرباء دابة صغيرة طولها

أقل من الشبر لها قوائم أربع ورأس كشبه رأس العجل إذا طلعت
عليها الشمس قامت على عود أو جذر ثومة أو حجر ثم استقبلت
الشمس ببصرها وتضرب بلسانها داد ۞ كما يفعل من يسوق حمارًا
فلا تزال كذلك حتى تزول الشمس فتستدير الحرباء فتقابلها ببصرها
وتراعيها كذلك حتى تغيب الشمس في مغربها فإذا غربت ذهبت
الحرباء تبتغي ما تأكله ليلته كلها حتى إذا طلعت الشمس عادت
لفعلها فينبغي هذا الرجل أن يكون حرباء على عود فرارًا من تلك الفتن
قال الكهل ولما سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم أن لا غناء عند
ده رأيه فقام عنهم وأمرهم بلزوم مواضعهم وركب من فوره منفردًا
وأمر جماعة كثيفة من شجعان أصحابه وفرسانهم فركبوا في السلاح
ويتبعوه متباعدين بحيث يرون إشارته إن أشار إليهم ففعلوا
وسار عبد الملك وتبعه القوم على ما رسم لهم فلم يزل سائرًا حتى
انتهى إلى شيخ ضعيف البدن سيء الحال وهو يجمع السماق فسلم عليه

عبد الملك

11

عبد الملك وأنس بمجلسه خفيف ثم قال له أيها الشيخ ألك علم
بمنزل هذا العسكر فقال الشيخ بلغني أنهم نزلوا بموضع كذا وكذا
فقال له عبد الملك فهل سمعت شيئًا مما يقول الناس في أميره
فقال الشيخ ما سؤالك عنه ۞ فقال عبد الملك أردت اللحاق
به والدخول في أصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ ما
معناه إني أرى لك أدبًا وصبًا وإني أحسبك حسيبًا سريًا فهل تحب
أن أنصح لك فيما أنت قاصده ۞ فقال عبد الملك ما أحوجني
إلى ذلك فقال الشيخ إنه ينبغي لك أن تصرف نفسك عن هذا الرأي
الذي نزعت إليه فإن الأمير الذي أنت قاصده قد انحلت عرى ملكه
ونابذه أتباعه واضطربت أموره وإن السلطان في حال اضطراب
أموره كالبحر في حال هيجه لا ينبغي أن يقرب فقال عبد الملك
أيها الشيخ إن الحنكة لم تبلغ بي مغالبة نفسي في كل ما رغبت إليه
وإني لأجدها تنزع لصحبة هذا الأمير نزاعًا شديدًا ولا بد لي من

ذلك فهل لك ان تحسن الي فتخبرني بما تراه من الراي لهذا الامير
في تدبيره هذه الخطوب التي دهمته لاعزم ذلك الراي عليه
وانفذ به عنده فلعله ان يكون سببا لقربي منه ۞
فقال الشيخ ان حكمة الله وقدرته ليقضيان بتحير العقول
والاراء عن الصعود في بعض النوازل واني لاظن ان هذه النازلة التي
نزلت بهذا الامير من النوازل التي لا تستقيد فيها العقول ولا تهتدي
الى صواب تدبيرها الاراء واني لاكره ان اردد مسالتك بالخيبة فها انا
اقول فيما سالتني عنه قولا افتي به حق رغبتك وان كنت لا اثق
بنفسي فيه لان الخطب عظيم جدا والخطر فيه يضاهي عظمه
فقال عبد الملك فل جزاك الله خيرا ۞ واني ارجو الله ان يسدد ك ٤١
نيتك ويرشدني بك الى الفلاح ۞ فقال الشيخ ان هذا الخليفة
خرج الى قتال عدوه فظهر من مشيئة الله سبحانه انه لا يريد ما
فصله والدليل على ان الله لم يرد قصده لمحاربة ابن الزبير انه

قطعه

قطعه عن التمادي لما احدثه في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد
على منبره واستفساد رعيته واستيلائه على بيوت امواله وسرير
خلافته واي مشير عليك بقصد حال هذا الامير وانتظار ما يكون منه
فان رايته قد تمادى فيما خرج له واصر على قصده لابن الزبير فاعلم انه
مخذول فاخشه وانما كان مخذولا لان الله سبحانه قد اظهر له من حكمته
ان يقطع عن التمادي لما خرج له فابى الا لجاجا وان رايته قد رجع
من حينه وترك ما كان قصد له وخرج اليه فارج له السلامة
فانه مستقبل مراجع والله سبحانه اهل ان يقبل من استقاله ويرحم
من رجع اليه ۞ فقال عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الى دمشق
كمسيره الى ابن الزبير اذ كان قد ظهر من مشيئة الله وقدرته ان
نبض عنه قلوب رعيته التي بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم
بالبيعة لغيره فمسيره الى ابن الزبير كرجوعه الى عمرو بن سعيد لان
كل واحد منهما حصل على مملكة منيعة ورعية مطيعة فقال الشيخ

ان الذي اشكل عليك لبين لواضح وها انا ازيل عنك اللبس ان عبد الملك
اذا افتصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم يعطه
طاعة قط ولا وثب له على مملكة وهو اذا افتصد عمرو بن سعيد
كان في صورة مظلوم لان عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان امانته
وافسد عبيده وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملك
لم يكن له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن
سعيد عليها معتد ولها مغتصب

وانه كان يقال سيف العضبة معزول ووالي الغدر مغرول
وكان يقال جيش العدوان مفلول وعرش الطغيان مثلول وساير ب
لك في ذلك مثلا يشفي النفس وينفي اللبس واودعه من فقر الحكم
ما يشحذ الفطن والالباب ويبصر عن وجه الصواب ⊙

زعموا ان ثعلبا كان متعاطلا وكان له جحرا ياوي اليه وكان
مغتبطا به لا يبغي عنه حولا فخرج يوما يبتغي ما ياكل ثم رجع فوجد حية

في جحره فانتظرها فلم تخرج عنه فعلم انها قد اوطنته وذلك
ان الحية لا تتخذ جحرا وتدخل الحجرة فتغصبها وتطرد عنها ما فيها
من الحيوان ⊙ قال الراجز يصف رجلا ظالما ⊙
شعر
وانت كالافعى التي لا تحتفر ⊙ ثم تجي شادرة فتنجحر ○
ولهذا قالوا فلان اظلم من حية ⊙ فهذا ظلمها **ولما رأى** الثعلب
ان الحية قد اوطنت جحره ولم يمكنه الكون معها ذهب يطلب لنفسه
ماوى فانتهى به التطواف الى جحر حسن النظام حصين الموضع
في ارض خصبة ذات اشجار ملتفة وماء معين فاعجبه وسال عنه
فاخبر ان ذلك الجحر لثعلب يدعى مغوط وانه ورثه عن ابيه فناداه
فخرج اليه ورحب به وادخله الى جحره وساله عما قصد له فقص
عليه خبره وشكا اليه ما ناله ثم اقبل عليه ⊙ فقال له ان من
الحزم ان لا تقصر عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في
ابتغاء دفعه وهلكه ⊙ فانه كان يقال من تهيب عدوه فقد

جلبت لي بنفسه حيلتنا ⊙ وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة
وكان يقال الحزم في طلب الثار خير من الحياة في العار وكان
يقال اذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقدمن عليه حتى تعلم ضعفه
عنك واذا طلبته بالحيلة فلا يعظمن امره عندك وان كان عظيما
والراي عندي ان تنطلق بي الى ماواك الذي انتزع سلبك عصاك حتى
اطلع عليه فلعلي اهتدي الى وجه مكيدة في تمكينك منه فان
افضل الراي ما استمر على الروية ولهذا قيل يفسد التدبير بثلثة اسباب
احدها ان تكثر الشركا فيه فاذا كان كذلك انتشر التدبير وبطل
والثاني ان يكون الشركا في التدبير متحاسدين متنافسين
فيدخله الهوى والبغي فيفسد ⊙ والثالث ان يملك التدبير
من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده فاذا كان ذلك
دخله فقد المباشر الحاضر وفوت الغرض ⊙ ثم ان تدبير
المسموعات ما استمر على ظنون الخبر ⊙ وتدبير المحسوسات ما استمر على

بعين

بغير النظر ⊙ فانطلقا معا الى ذلك الحجر فتامله مفوض وعلم ما
اراد عمه ثم اقبل على ظالم فقال له قد شاهدت من امر مسكنك
ما فتح لي باب المكيدة وسفر لي عن وجه الراي ⊙ فقال ظالم اطلعني
على ما ظهر لك فقال مفوض ان افضل الراي ما اجادت
الفكرة نقده ⊙ واحكمت الروية عقده ⊙ وان اضعف الراي
ما سنح في البديهة وكان يقال الراي مراة العقل فمن اراد ان
يرى صورة عقله فاستشره وكان يقال الراي سيف العقل
ولما كان امضى السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان
انجح الاراء ما كثر امتحانه واطيل تامله وتاوله وكان يقال كل راي لم
تمخض الفكرة فيه ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ⊙ ثم قال له
انطلق معي بنا الليلة عندي فانظر ليلتي هذه فيما سنح لي من المكيدة
ففعلا ذلك وبات مفوض مفكرا في ذلك وجعل ظالم يتامل مسكن
مفوض فراى من سعته وطيبة تربته وحصانته وكثرة

مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه و[illegible] يد الحيلة
في غصبه وبتي مفوض عنه **وكان يقال**
للئيم كالنار اكرامها اضرامها ⊙ وكالخمر حبيبها سالبها ⊙
وتبيعها صاحبها **وكان يقال** اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك لها الا حسان
دفعا **وكان يقال** العاقل يقدم التجربة على التقريب ⊙ والاختبار
على الاختيار ⊙ والثقة على المقة **فلما** اصبح قال مفوض لظالم
يا سيدي اني رأيت ذلك الجحر بعيدا عن الشجر فاصرف نفسك
عنه وهلم اعينك على احتفار جحر غيره بهذا المكان النبت الموافق
فقال له ظالم ان ذلك لا يمكنني لان لي نفسا تملك لبعد الوطن
حنينا ⊙ ولا تملك لفقد السكن سكونا **وانه كان يقال**
كل اهل الوفاء يتبع بر الاباء والامهات ⊙ وصلة ذوي القرابات ⊙
والنزاع الى الوطن ⊙ والجزع على فقد السكن ⊙ والحزن لاخلاف
الشباب ⊙ والتلهف لاخلاق الثياب ⊙ والصبر على هرم الدواب ⊙

وانه

وانه كان يقال الغربة بين الاحباب فقد اعاده البين اثر بعيد
غبن وقيل ان حروف الغربة مجموعة من اسماء داله على محصول
اسم الغربة فالغين من غدر وغيبة وغم وغبن وعلة وهي [illegible]
الحزن وغيبة وغول وهي كل شيء مهلكه ⊙ والراء من رزء وردى
وهو الهلاك ⊙ والباء من بؤس وبلوى وبرح وهي الداهية
وبوار وهو الهلاك ⊙ والهاء من هول وهم وهلك وهون ⊙ فلما
سمع مفوض مقاله ظالم وما تظاهر به من الرغبة في وطنه
قال له اني ارى ان نذهب يومنا هذا فنحتطب حطبا ونربط
حزمتين واذا اقبل الليل انطلقنا الى بعض هذه الخيام واخذت
قبسا من نار واحتملت الحطب والقبس وقصدنا الى مسكنك
فجعلنا الحزمتين على بابه واضرمناهما نارا فان خرجت الحية
احترقت وان لزمت الجحر اهلكها الدخان فقال ظالم نعم الراي
هذا فذهبا واحتطبا من الحطب حزمتين بقدر ما يطيقان

[illegible]

حملهما ولما جاء الليل واوقد اهل الخيام النار انطلق مفوض
ليأخذ قبسا فعمد ظالم الى احد الحزمتين فازالها الى موضع غيبها فيه
ثم جر الحزمة الاخرى الى باب مسكن مفوض وادخله وجدها اليه
فادخلها في الباب فسده بها وقدر في نفسه ان مفوضا اذا اتى
الحجر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته وان بابه مسدود بالحطب
سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه ان يحاصر فاذا ايس منه ذهب
فنظر الى نفسه ماوى وكان ظالم راى في مسكن مفوض طعمة ادخرها
لنفسه فعول ظالم على الاستبداد بها في مدة الحصار واذهله الشره
والحرص والبغي عن فساد هذا الراي وانه متعرض لما عزم مفوض ان
يفعله بالحيلة **ولانه كان يقال** احترس من تدبيرك على عدوك
كتفل الحذر اسلك من تدبير عليك فرب هالك بما دبر ومكر
وساقط في البئر التي حفر ⊙ وجريح بالسلاح الذي شهد
ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب فظن ان

ظالما

ظالما قد احتمل الحزمتين معا تخفيفا عنه وانه بادر بهما نحو
جحره اشفاقا ان ياتي مفوض فيحمل احداهما فشق ذلك عليه وظهر له من
الراي ان يترك القبس ويبادر اليه ليلحقه فيحمل الحطب معه فالقى
القبس بين يديه ثم كره ان تفقده الريح فيحتاج الى طلب قبس اخر
فادخله في باب الجحر ليبشره بذلك فاصاب الحطب فاضرمه نارا
واحترق ظالم في الجحر وحاق به مكره
فلما اطلع مفوض على امر ظالم قال ما رايت كالبغي سلاحا
اكثر عمله في حامله ⊙ ولهذا قيل الباغي يلحقه عن قريب حتفه
بظلفه ومتردي في مهاوي تدبيره المساوي تدبيره وقيل ما
اجتمع الملك والبغي على سرير الا خلا ⊙ وقيل لكل عاثر راحم الا
الباغي وان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ⊙ وقيل ما
اعطي البغي احدا شيئا الا واخذ منه اضعافه ⊙ ثم ان مفوضا
امهل حتى طفئت النار فاخرج جيفة ظالم فالقاها واوطا

مجره على حال التحفظ واحتراس من كيد الكائدين ⊙ فهذا مثل عمرو
بن سعيد في تعبيه ومخادعته عبد الملك ومخالفته الى دار ملكه
وتحصينه فيها ⊙ وكان عبد الملك في مخرجه لابن الزبير عاملا
فيما يوليه شره عمرو بن سعيد وبقا الملك في اهل بيته وخروجه
عن ابن الزبير اذ كان عزم عبد الملك عن العمرو بن سعيد وملكه ملكا
له فلم يرض عمرا سعيه ولا اعانه على مصلحة نفسه وفعل كفعل
ظالم مع مفوض سوا فلما سمع عبد الملك ما ضرب له الشيخ
من المثل واستبصر فيما اودعه من الحكم سر بذلك سرورا عظيما
واقبل على الشيخ وقال له جزيت خيرا فقد عظمت بذلك عندي
واني لاوثر ان اجعل بيني وبينك موعدا وتذكر لي مكانك القاك
به بعد يومي هذا ⊙ قال الشيخ وما الذي تريد بذلك
فقال له عبد الملك اني اومل ان اشفع برايك عند الامير فاكافيك
على ما كان منك فقال له الشيخ اي اعطيت الله عهدا ان لا

الحلم

احمل منه لجميل فقال عبد الملك من اين علمت خطي ايها الشيخ فقال
لم لا اعلم خلك وقد ارجات صلتي ومكافاتي مع القدرة عليها وعلى تعجيلها
فما عليك لو وصلتني ببعض ما ارى عليك من السلاح والبزة
السنية ⊙ فقال عبد الملك اقسم بالله لقد ذهلت ثم نزع
سيفه وقال اقبل مني سيفي هذا لا انخدع عنه فان قيمته
عشرون الف درهم فقال الشيخ اني لا اقبل صلة ذاهل فدعني
وربي الذي لا يبخل ولا يذهل فهو حسبي فلما سمع عبد الملك
مقالته علم فضله في دينه وقال له اني انا عبد الملك فاعهد في
وارفع الي حوائجك فقال له الشيخ وانا ايضا عبد المالك فهلم
نرفع حوائجنا الى من انت وانا له عبدان ⊙ وانطلق عبد الملك
فعمل برايه فانجح الله تعالى عمله فلما سمع الوليد ما اخبر
به ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف ادبه وساله عن
نفسه فنسب له وانتسب فلم يعرفه الوليد فاستحيا منه وقال

ان من حمل مثلك في دعته لمضيع ⊙ فقال الكهل يا امير المؤمنين
ان الملوك لا تعرف الا من تعرف اليها ولزم ابوابها ⊙ فقال الوليد
كلا لا توسعنا عذرا الا نستحقه ثم امر له بصلة معجلة وعهد
اليه في ملازمته عهدا فكان يستمتع بادبه وحكمته الى
ان كان من امر الوليد ما هو مشهور

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل لما عزم محمد الامين على اخراج عهد الخلافة عن اخيه
عبد الله المامون والمامون اذ ذاك بخراسان كتب له الامين كتابا
يذكر له فيه حاجته الى قرابته ومفاوضته في مهم حدث وساله ان
يستنيب بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الى بغداد ⊙ وكتب الى
المامون عيونه الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلا فة
وتقليد عهده الى موسى ابنه فلما وقف المامون على ما كتب به اخوه
اليه وعيونه شاور وزراه فاشاروا عليه بالتثبت والتعلل والاعتذ ار

لتشعب

لتشعب خراسان وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه
لا يجد من يثق بكفايته لامرها فكتب المامون الى الامين بذلك
فعاود الامين مكاتبته يستحثه وانه لو قدم عليه لقل لبثه
ببغداد حتى يرجع وانما يريده كي يفاوضه في امر جسيم لا يودع
مثله الكتب فحين انتهى كتابه الى المامون اطلع وزراه ايضا واستشار هم
فاشاروا عليه بمثل رايهم الاول فكتب الى الامين بنحو ما كتب به اليه
اولا وكتب الى الامين عيونه الذين بخراسان ان المامون قد فطن
لما يراد منه وانه ممتنع مشاقق وان وزراه قد اجمعوا على امره
في الامتناع فيئس الامين من تمام مكيدته باخيه وامر بالقبض على
من ببغداد من حشم المامون وبطانته وما ظهر عليه من امواله
وبلغ ذلك المامون فخامره الجزع وشاور وزراه فثبتوا على رايهم
وحضوه على التثبت وانتظار الفرج فنفعل والح الامين
اصرار اخيه على الامتناع دعا الناس الى البيعة لابنه موسى وهو

طفل صغير فأجابوه إلى ذلك وبايعوه وسماه الناطق بالحق واستكفل
له علي بن عيسى بن ماهان فجعله في حجره وكان علي بن عيسى بن ماهان قد
ولي خراسان قبل ذلك مدة طويلة فاصطنع بها الرجال واعتقد
المنن في الأعناق وكان شأنه بخراسان عظيما فاستشاره الأمين
في أمر خراسان فعظم له أمرها وأنه أخبر لو بلغ خراسان لم يختلف عليه
اثنان ممن بها فجهزه الأمين إليها وولاه كل بلد يغلب عليها وأعطاه
أموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده وأصحبه من السلاح
والكراع ما شاء وبلغ ذلك المأمون فاضطرب أمره وعلم عجزه عن
مقاومة علي بن عيسى بن ماهان فركب إلى منتزه له ليشاور
وزراءه في ذلك فعارضه شيخ من الفرس مجوسي فناداه بالفارسية
مستغيثا به من مظلمة نالته فلما نظر المأمون إلى هرمه رق له
وأمر أن يحمل على دابة ويتبع به إلى الموضع الذي قصده ويدخل عليه
من غير استئذان ولما استقر المأمون ووردوا به ذلك الموضع

ودخل

لما أدخل عليه الشيخ الفارسي فأمره بالجلوس في حاشية المجلس ثم
أقبل على أصحابه وأخبرهم بما صنع أخوه الأمين من القبض على
حاشيته وماله وتجهيزه علي بن عيسى وهو يظن أن الشيخ لا يحسن
اللسان العربي وأن ما به من الهرم شاغل له عن الإصغاء إلى ما هم
فيه مع ما حمله ذلك من الجزع والاضطراب فلما رأى القوم أن
المأمون لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا إليه وطالت مناظرتهم
إلى أن قال أحدهم الرأي عندي اصطناع أقوام من الأغنام الذين لا يعرفون
علي بن عيسى فيلقى بهم ۝ وقال غيره الرأي أن نبادر بالإرسال
إلى الأمين بطلب الصفح وبذل الانقياد لأمره فإن يرى ذلك خطأ
عظيما ۝ وقال بعضهم الرأي أن نلجأ إلى بعض المعاقل فنعتصم
به وننتظر الفرج ۝ وقال غيره الرأي أن نجمع أهل النجدة فنزيح
عللهم ثم نقصد بهم بعض هذه المعاقل المجاورة لنا من ممالك الكفار
فنقصدهم القتال فلعل الله أن يظفرنا فنصير إلى مملكة نأويها ونرجع

اليّنا من هو على مثل رأينا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي
الله أمره. وقال عبيرة الرأي عندي أيها الأمير أن تجاور إلى بلد
الترك مستنصرا به مستعينا على أخيك الغادر القاطع فهذا أمر لم
تزل الملوك تفعله إذا دهمها ما لا قبل لها به ◉ فلما سمع المأمون
هذه المقالة ركن إليها وعول على هذا الرأي ثم أفكر ◉ فقال كيف
أجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ◉ وقال لأصحابه قوموا عني
فنهضوا أجمعون إلا الفتى فرأى الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وسأله
عن أمره وما قصد له على لسان ترجمان أقامه له ◉ فقال الشيخ
بلسان عربي إني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو أوكد منها وأولى
بالعناية ◉ فقال المأمون قل ما أحببت سالكا سبيل الأدب فقال
الشيخ أيها الأمير إني دخلت عليك وأنا غير متصف بالمحبة لك فقد
[illegible] الله عز وجل في قلبي من المحبة للأمير ما هو أهله
يقال الرق ثلاثة أنواع ◉ فأولها وأشدها بالباطن استيعابا والظاهر

رق الاختراع وهو الرق لله صانع الأشياء ومخترعها ● والثاني
رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه للمنعم ◉ والثالث رق
الاتباع وهو صنفان أحدهما رق الحب وهو أقربها إلى رق الاختراع
لأن له سلطانا مبسوطا على الباطن والظاهر ◉ والثاني رق
الرغبة لراغبها ورق العبيد لساداتهم ◉ وأنا أخبر الأمير
أيده الله أنه قد نشطا فرن له على ثلاثة من الرق ◉ رق الحب
ورق الاصطناع ◉ ورق الاتباع ◉ فإن رأى الأمير أعزه الله أن
يتقبل وسيلتي ويصدق أملي ويسعف طلبتي ◉ فليحقق لي
رجاء اختصاصه ◉ ويمكنني بمكاتبة أو نيابة ونصيحة به فعل
ذلك متطولا به على غير محتاج إليه ◉ وإن عبده ليرجو أن
تصادف الصنيعة منه شاكرا ◉ والاختصاص به مستحقا
ناصحا ◉ فقال له المأمون ما دينك أيها الشيخ قال مجوسي
فأطرق المأمون مفكرا فيما تكلم به الشيخ فقال الشيخ لا يصدك

الامير غبي حقارة قدري عنده وانه كان يقال لا تحقرن من الاتباع
احدا فانك تشفع به كائنا من كان وهو احد رجلين ⊙ اما شريف
فتزينك وتجمل به ⊙ واما وضيع فتحمي عرضك وتصون
مروتك ⊙ وعلي اني لست اعني بحقارة قدري عند الامير
حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق اما الاخلاق فامتحانها بيد
الامير ⊙ واما الاعراق فانا ابن عمي من ولد الهمن سيد ملوك
الفرس المتوسط بينها وبين اول الاوايل ⊙ وانما اعني حقارة
رتبتي عند الامير وكوني في عقيد ذمته وصغار جزيته
فقال المامون ما ابتغاك ايها الشيخ رغبة ⊙ وان
اسفلت من ذمتنا الي ملتنا احفناك شعارا ⊙ فقال الشيخ
ان انبعاث من نفسي الي ما دعاني اليه الامير لشديد ولكن
لا افعله في مقامي هذا ولعلي ان افعله فيما بعد ثم قال اذن
لي الامير ان اتكلم فيما فاوض الان وزراه فيه ⊙ فقال المامون
تكلم

تكلم فقال الشيخ قد سمعت ما تكلم به وزراء الامير وكلهم منهم
مجتهد مصيب ولست ارضى شيا مما ذهبوا اليه ⊙ فقال
المامون اطلعنا علي رايك ⊙ فقال الشيخ اني اجد في الحكم
التي دونها اباي عن ابايهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل
له به ان يلزم نفسه التسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع
ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته ⊙ فانه ان لم يحصل
علي الظفر حصل علي العذر ⊙ فقال المامون ايها الشيخ
انه كان يقال لا راي لمكذوب ● وقد محضت انفسنا بالثقة
لك من غير امتحان وما ذاك لاختبارنا اصالة الحزم ولكنا
احببنا ان نبديك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة علي القبول منا
نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا اعني علي بن عيسى بن ماهان
هو املك بالبلد منا ولا يمكنا مقاومته لو اردنا ذلك لتعذر
الاموال قبلنا فقال الشيخ ايها الامير ينبغي ان نجوا اهل الامر

من قلبك بالحلم ولا تصغي الى من يتطوق به فانه كان يقال ما كثر
من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظلم ولا املك من ملكه الغضب
وانا احدثك عمن لو حذوت مثاله بلغت مناله ⊙ فقال له المامون
هات ما عندك ⊙ فقال الشيخ الفارسي ان الخشنوار ملك الهيا [margin: طله]
لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا
ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم الهياطلة صخرة [margin: اخرى]
واخذ على فيروز عهدا ان لا يجاوز تلك الصخرة ولما استوثق الخشنوار
من فيروز بما اخذ عليه من المواثيق والعهود والمسالمة اطلقه فحين
رجع فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة ⊙ فعزم
على غزو الخشنوار واطلع وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه
عاقبة البغي فما رده ذلك عما هم به فاذكروه العهود التي اخذها
عليه الخشنوار ⊙ فقال لهم اني انما حلفت له ان لا اجاوز تلك
الصخرة وانما امر بحملها على فيل يكون بين يدي جيوشي لا يجاوزها احد منهم

فلما راوا ان الهوى قد وقف به على حد الرضى بهذا القول علموا انقياد عقله
لشهوته فامسكوا عنه وعقدوا ان لا يراجعوه في ذلك وكان
يقال الهوى صدا يعلو العقل فلا تنطبع فيه صورة الحقائق
وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ
اللجاج فذلك رين السكر وقوة سلطانه ⊙ وكان يقال لا تسترشد
تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة او الغضب عليه لانها حال
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها فاما سلطان العقل فطارئ مستفاد وللعقل حجابان
وهما الشهوة والغضب فلا يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم
يحجبه شهوة او غضب فحينئذ ينبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه
فاجمع فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبان منهم خمسون
العظماء لان كل واحد منهم صاحب الربع من ارباع مملكة بابل
وامرهم بالتجهز لحرب الهياطلة ففعلوا وسار فيروز نحو الخشنوار في

حبوش يظن ان لا غالب لها وكان الخشنوار ضعيف عن مقاومة
مرزبان من مرازبة فيروز وانما كان ظفره بفيروز لمكيدة ليس هذا
موضع ذكرها ۞ وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا اللقب
حافظ حفظ الدين وهو عند الفرس كالنبي ۞ قال لفيروز حين عزم
على غزو الخشنوار لا تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على
الجور ما لم ياخذوا في هدم ركن من اركان الشريعة فاذا اخذوا في
ذلك لم يمهلهم وان العهود والمواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تنقض ض
له بيعة فلم يلتفت فيروز لمقالته وركب راسه هواه في معصيته
اصحابه ونصحائه **وكان يقال** يستدل على ادبار الملك
بخمسة اشياء احدها ان يستكفي الملك الاحداث ومن لا خبرة
له بعواقب الامور ۞ والثاني ان يقصد مودته اهل الادب ۞ والثالث
ان ينقص خراجه عن مؤونة مملكته ۞ والرابع ان يكون
تقريبه واتباعه للهوى لا للراي ۞ والخامس استهانته بنصائح العقلاء

واراه ذنب الحرون ۞ وكان يقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا
وكان يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري
وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو في سلطان الراي غالب ومن
ضعف فكره فهو في سلطان الهوى مغلوب ۞ وعلى هذا القانون
من عدم الفكرة في الامور التحق بالبهايم **قال الشيخ** الفارسي
ان فيروز سار قاصدا نحو الخشنوار حتى انتهى الى تلك الصخرة التي نصبها
الخشنوار علما للارضية واستحلف فيروز ان لا يجاوزها امر فيروز بقلعها
وحملها على فيل بين يدي عسكره ونهى ان لا يتجاوز ذلك الفيل احد
من العسكر فلما بعد عن ذلك الموضع الذي كانت فيه الصخرة حتى جاز
رجل من اصحابه فاخبره ان سوارا عظيم القدر من اساورته قتل
رجلا مسكينا ظلما وعدوانا وجاء اخو ذلك المسكين فاستعان بفيروز
وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فامر له فيروز بمال يرضيه به عن دم
اخيه فابا قبول المال وقال ۞ ما يرضيني الا دم قاتل اخي فامر فيروز

بطرده فانطلق من ثغره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه
بخنجر في يده فلما رآه الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وبلغ الخبر
لفيروز فتعجب من ذلك فنزل وزيره من ورآء فيروز عن دابته وتقدم
بين يدي دابة فيروز وسجد له وسأله فيروز عن امره فاعلمه انه يريد الخلوة
معه في امر مهم عرض له فامر فيروز فضربت له قبة فسطاط فنزل فيها
وأمر لذلك الوزير فدخل عليه فامره ان يذكر ما عنده ⊙ فقال له
ايها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبع وعمرت مثل ما عمر سور السيف
في مثل عزته وقوته لقد ظهرت بك عنايه اول الله وابلى ما ضربه لك
من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا انجدا هرب بين يدي مسكين بيده
في يده خنجر وما ذاك الا لتغديه وبغيه ⊙ فقال فيروز انه لم
يفر عنه لعجزه عنه بل لخوفه منا ولم يكن ليفعل تلك الفعلة الشنيعة
فيشفعها بمثلها فقال الوزير ايها الملك أتأذن ان ندعونه الى
مبارزة ذلك المسكين وامنته من سطوتك فظهر ذلك المسكين
عليه

عليه اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم ⊙ فقال الملك
لافعلن ذلك ثم انه احضر الاسوار فامنه وامره بمبارزة ذلك المسكين
الثائر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه
واتي بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته فاظهر الرغبة فيها واكره صح
عليها تخوف من الهلاك فلم يخف فقيل له اما ترى درعه وسلاحه
وفرسه اما تخشى تفرد سبيله ونجدته واقدامه وانك تهلك نفسك
ومستميت ولا اتهم علينا فيك ⊙ فقال لهم المسكين دعوني واياه
فانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة ⊙ وهو لابس درع الشك وانا
لابس درع اليقين ⊙ وهو يقاتل بسيف البغي وانا اقاتل بسيف الحق ⊙
فقال الوزير لفيروز ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلية
والموعظة من ظفره بالاسوار فمن اسوارك واستبق نفسه ولا تعرضه
للهلكة بلقاء هذا المسكين واعمل في رضى هذا المسكين بالاحسان ن
اليه فان لم يرضه الا القصاص فانظر بالعدل المألوف منك ⁘

واستدم عنايه الاول لاخريك وتعنابنك باحق الذي به صنيه الحمل
به وتسخطه اجتنابه ◉ فقال فيروز لا بد لي من احدهما وانظر الى ما يكون
منهما ان كان المسكين يختار ذلك غير رغبة فيه ◉ واعادوا عرض مبارزة الا سوار
على المسكين فاصر على الرغبة فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم تزده
تخويفهم الا جراءة واقداما فقيل للاسوار القه ولا تخن عنه فحمل كل واحد
منهما على الاخر فالتقيا ونبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار وضربه
الاسوار بالسيف ضربة نطاطها المسكين فاصاب ذباب السيف
لبته فاثر فيها اثرا ليس بالكبير ثم مال اليه المسكين فضربه بالخنجر
في عنقه وجذبه فصرعه ونحره وهو ملقى ضربة اخرى فادخل طرفا
من الدرع في جوفه وقضى عليه ◉ فبات فيروز تلك الليلة متفكرا
فيما اتاه من الامر ثم انه استقاد لهواه فنفذ لوجهه **وكان يقال**
اول الهوى هون واخره هون ◉ وكان يقال الهوى طاغية من ملكه
اهلكه ◉ وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم اتقادها
عسر

٤٤ عسر اخمادها ◉ وكالسيل اذا اتصل مدها تعذر صدها ◉
وكان يقال ليس الاسير من اوثقه عداه اسرا وانما الاسير من اوثقه
هواه فسرا ◉ وادهقه خسرا **قال الشيخ القادسي** ولما علم الخشوار
بقصد فيروز لحربه حمل على نفسه التثبت ووكل الامر الى الاول والاخر
وساله ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها ◉ واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد
ثغوره وجمع اليه جنوده واعد للقاء فيروز عدته واهمل خيله وطي
فيروز كثيرا من ارضه وتوسط مملكته وعاث في بلاده وسعى على
الرغبة اثره ◉ فنهض اليه ففاجاه وصدقه الجلاد فانكشف فيروز ز
منهزما واسلم ما كان في يديه فقتل الخشوار رجاله وغنم امواله
وامعن في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه به
فكانت العاقبة له **فصل** فلما سمع المامون ما ضربه له الشيخ
القادسي من المثل اقبل عليه مستبشرا وقال له قد سمعنا مقالتك

فصادفت منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فما ذا ترى فيما
دعوناك اليه من توحيد الله تعالى الذي اجزل من العقل حظك ووفق
بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم لسانك وحجتك وعذرك ۞ فقال الشيخ اشهد
ان لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
فسر المأمون باسلامه واجزل صلته وقرب منزلته والحقه
بخاصة اصحابه وامره بملازمة بابه فما لبث الا اياما قلائل
حتى لحق بالله تعالى ۞ وعمل المأمون برايه فانجح الله عمله وبلغه من الخلافة امله ۞

الدلالة التاسعة وهي دلالة الناسي

انزل الله ربنا تقدس اسمه في السورة المذكور فيها الاحزاب ۞
آيات تخبر ان طاعة المتصل المقصود بهذا الكتاب وهو آتي الملوك
في طول العوام والله ربنا المحمود على الدلالة عليها والهداية اليها

وذلك

وذلك قوله سبحانه في المنافقين على خليفته في نهضته الداعي الى
مندوبه وفرضه ۞ صلى الله عليه وسلم اذ جاءوكم من فوقكم
ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر
وقوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ۞
وقوله عز وجل في تردد من ضعفت بصيرته حين بدء وتظنون
بالله الظنونا ۞ وقوله جل وعز في نجوم النفاق وجراة اهله
على اظهار ما كانوا يسترونه حين راوا ان المؤمنين قد ابتلوا
وزلزلوا واذ يقول ۞ المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا ۞ وقوله سبحانه في القاعدين عن
نصرة الحق المخذلين من اراد نصره ۞ قد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية ۞ وقوله تعالى فيهم
واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله
عز وجل في المتسللين لواذا يستاذن فريق منهم النبي يقولون ان

زلزالا شديدا

وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا

بيوتنا عورة الآية ۝ وقوله عز وجل في تجار أسواق القتل الذين
يستجيبون لكل داع ۝ ويتبعون كل ساع ۝ ولو دخلت عليهم من
أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها الآية ۝ وقوله تعالى في تخجيه
الحذر عن مغالبة القدر ۝ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت
أو القتل الآية ۝ والتي بعدها وهي قوله تعالى من ذا الذي يعصمكم من
الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة الآية **فهذه جمل** طوام العوام
والامتحان بما على ما أدب به رسوله عليه السلام ۝ بقوله عز وجل
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ۝ ومما أدب الله به
رسوله صلى الله عليه وسلم التأسي ۝ فقال عز من قائل ولقد
كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا
ثم عرف الله تعالى رسوله عليه السلام أن إضاعة التأسي وتركه الحزم
العمل بدلا يجلب إليه حظا ۝ فقال سبحانه وإن كان كبر عليك إعراضهم
الآية ۝ واعلم أن التأسي مفترض عليه بقوله عز وجل فاصبر

كما

كما صبر أولو العزم من الرسل ۝ وقوله تعالى أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده ۝ فهذا أمر جزم ۝ وروي أن رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم ۝ قال إن الله أدبني فأحسن أدبي
فالتأسي مما أدب الله به رسوله بل مما افترضه عليه كما بينا ومعنى
التأسي عند الأئمة أن تنظر إلى من غيرك أي إلى حزنه وأنه مثل
أسائك أي مثل حزنك فتصبر والأسى هو الحزن ۝ ولا يعجبني هذا
وهو عندي مأخوذ من قولهم أسوت الجرح والجرح أي داويته
والآسي هو الطبيب المداوي فكان بمعنى التأسي التطبيب والتداوي بالصبر
والأسوة اسم من هذا والتأسي تفعل من الإسوة ولو كان ما ذهبوا إليه
لكان معنى التأسي التحزن ۝ يقول أسيت أي حزنت وتأسيت أي تحزنت

خبر نبوي في التأسي

فمما روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا إلى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم

قال محمد عفا الله عنه ان هذا الحديث لحسن الموقع مما نحن فيه ولا
ينبغي ان يقتصر بلفظه عن طلق افهامه وموجب عمومه والذي يوجبه
عمومه انه امر لمن كان في نعمة دقيقة ان ينظر الى من هو في نعمة ادق
منها وامر لمن كان في بلاء ان ينظر الى من هو في بلاء اشد من بلائه
فانه دونه واسفل منه في حظ المعافاة المطلوبة وهذا التخفف
عنه حظه اوفر واعلى فذو النعمة منعم عليه ومحسن اليه بما
يفوق بما انعم به على غيره وذو البلاء منعم عليه بنقص بلائه
عن بلاء غيره وبمعافاته من الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلي بها
غيره وانما كان هذا الخبر ابلغ في باب التأسي لانه يقلل مستعظم
البلاء الذي نزل به الى ان يستصغره باضافته الى ما ابتلي به غيره
ويحثه على شكر ما فضل به من حظ المعافاة التي فضل بها على
غيره وهذه درجة اعلى من درجة التأسي المطلق لان التأسي
المطلق لا يفيد حظا على شكر ما فضل به ولا تصور النعمة المخففة

في صور

من الشكر

في صور النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث يثمر الصبر
ثم الشكر

انتجاع وابيات حكمية في التأسي

التأسي جنة البلاء وسنة النبلاء التأسي درج الاصطبار
كما ان الجزع درك التبار انه ينبغي لذي البصيرة ان يرى النعم في صور
العواري المسترجعة والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها
وجود النعم اذا استردها كما لا ينبغي ان لا يذهل عن حظوظ جنسه
منها ودولتهم فيها فاذا زالت عنه وصارت اليهم لم ينكر اخذهم
انصباءهم وتناصبهم حظوظهم وليتأس بصبرهم عند حوزه لها
دونهم فتصبر لدولتهم الخالفة كما صبروا لدولته السالفة
ولان صدقة المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين
وما يلتحق بذلك من ضروب المواساة في المال وفي القوة وفي
الجاه انما ندب اليه المواسون فيه ليستبقوا النعم باعطاء جنس
حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها نفع والله المستعان

أنشدني بعض الملوك لنفسه في حال شدة نزلت به

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المجد الأغر الأعز ۝

ولنا أنفس عوارف بالدهر تأسى حين الأسى تستفز ۝

وحضرت عنده يوما من أيام شدته فأنشدني لنفسه

قربني دهري فلم يلفني أطمع في نائب يقربه ۝

ثم نأى عني فلم يلفني أجزع من أصناف نعمته ۝

ثم قال لي أجز فقلت

والحمد لله على حكمه فقوتي منه وحولي به ۝

وقال لي يوما وقد حادثته على ما بعثته على التأسي أتسلي

أنشدني في ذلك شعرا فأنشدته للخنساء

ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق عيشتي وأزور رمسي ۝

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي ۝

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنهم بالتأسي ۝

فقال

فقال لي هذا الخلق من طيلسان بني حرب أشم وأنشدني لنفسه

نقبض كما يقبض النبل جودا ونقدم مثل إقدام الحسام

وإن نزلت بنا كبر الرزايا تأسينا بأملاك كرام

روضة رائقة ورياضة فائقة

قال لما عزم سابور بن هرمز على الدخول إلى بلاد الروم متنكرا متجسسا نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في أمر يمكنه أن يستنيب فيه فعصاهم ۝ وكان يقال أشقى الناس وزراء الأحداث من الملوك وغشيان الفتيان من الشيوخ ۝ وكان يقال إنما عسر صرف الأحداث عن غي الهوى لخلة تشبه الرأي لأمرين أحدهما قوة سلطان الشهوات والثاني أن التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم وذوو الحنكة بخلاف ذلك ۝ ثم إن سابور توجه نحو بلاد الروم أن نصحب وزيرا كان له ولأبيه من قبله وكان شيخا داهيا وحزم وسداد رأي وحنكة وبصر بالديانات واللغات وتبحر في العلوم وخبرة

في المكايد فسلم اليه سابور جميع ما يظن انه اليه حاجة او تدعو
اليه داعية وامتنع ان يتجاوز عنه في قرب منه وملازمته
في جميع احواله في نهاره وليله وتوجها معا نحو الشام فتزيا
ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان اهل الجلالقة وتحرف بصناعة
الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت منه الجراح
برات واندملت في الحال . قال محمد قد رايت جملة ذكروا انهم
راوا هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم انه امتحنه بان جرح اللحم
ودهنه منه فالتام في الحين وكان ذلك الوزير في حين مسيره نحو
بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوي الجرحى بادوية يضيف اليها
شيا يسيرا من ذلك الدهن فيبرا بسرعة واذا عني باحد منهم دون
الاخر داواه بذلك الدهن صرفا فيبرا مكانه فلا ياخذ على المداواة
اجرا فاشتهر في بلاد الروم وذهب صيته بالعلم والزهد وكان
يقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة

ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة
ومن غرس الوفا اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة
ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل
ومن غرس الطمع اجتنى الحرمان ومن غرس الحسد اجتنى الكمد
وكان يقال الامم على اختلاف اديانها وازمانها وبلدانها متفقة
على اخلاق اربع العلم والزهد والاحسان والامانة
قيل فانطلق سابور ووزيره متفردين الى ان الوزير راعى احوال سابور
اشد المراعاة فلم يزالا على ذلك حتى قطعا جميع الروم والشام وتجاوزا
الدروب وقصدا القسطنطينية العظمى فقدماها وذهب الوزير
الى البطريك وتفسير هذا اللقب ابو الاباء فاستاذن عليه فاذن له
وساله عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الجلالقة ليتشرف
بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه اشياء وهدية نفيسة
حسن موقعها من البطريك فقربه واكرمه واحسن نزله والحفه

بطانته واختبره فوجده لبيبا ممتعا فأعجب به غاية الاعجاب
وجعل الوزير يتأمل أخلاق البطريك ليصحبه بما يوافقه ويتفق
عنده ويحسن موقعه منه **وكان يقال** اذا اردت صحبة
رئيس فانظر ما يستميله ويتفق عليه من الآلات فان كنت مطيقا
للعمل بها في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فاعرض
نفسك على ذلك حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على
بصيرة قيل فلما تأمل وزير سابور اخلاق البطريك وجده
مايلا الى الفكاهات معجبا بنوادر الاخبار اخذ الوزير بالحافه
من ذلك بكل نادرة عجيبة وملحة غريبة فلم تطل المدة بصحبته
حتى حل بعينيه وقلبه وصار الصق به من شعار قصه وجعل
الوزير مع ذلك يعالج الجرحى ولا يأخذ على ذلك عوضا فعظم
قدره في الناس ومقته القلوب وكان يقال اذا كانت القلوب
مجبولة على محبة المحسنين وكانت المحبة رقا والاحرار يكرهون
الاسترقاق

الاسترقاق والحر على الحقيقة من فدى نفسه من رق المحسنين
بمكافاتهم على احسانهم جهده حتى اذا لم يستطع فليرق نفسه لهم
معذورا وجعل الوزير يتعاهد احوال سابور في كل وقت الى ان
صنع قيصر وليمة عظيمة وحشر اليها الناس على طبقاتهم وتهدد
من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع على هيئة قيصر
وهمته في قصره وذخايره فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه
وتزيا بزي ظن انه يستتر به امره ودخل دار قيصر مع من حضر
الوليمة وقد كان قيصر لما بلغه ما أيد الله به سابور من لطف
الفطنة وعظم الهمة وشدة الباس في حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى حضرته بمصور ماهر فحلى صورة سابور في مجلسه وحال
ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده عليها المصور
وقدم بذلك الى قيصر فامر قيصر ان تصور تلك الصورة على
فرشه وستوره وآنية اكله وشربه فصنع ذلك على ما امره ورسمه

ولما دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم من حضر ذلك
اوتوا بالشراب في كؤوس البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم
وكان في المجلس رجل من حكما الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة
فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل يتامل شخصه واشارته
وصرته فراى عليه مخايل الرياسة فطفق يستنشقه ببصره ولا
يصرف بصره عنه فاتي ذلك المتفرس بكاس فيه صورة سابور
فتاملها وانطبعت في نفسه مثالا لذلك الشخص الذي انكره وغلب
عليه ظنه انه سابور فامسك القدح في يده امساكا طويلا
ثم قال يا قياصرة ان هذه الصورة التي في هذا القدح تخبرني
خبرا عجيبا ⊙ فقيل له ما الذي تخبرك به قال تخبرني هذه
الصورة ان هذا الذي هي مثال له في مجلسنا هذا ونظر الى سابور
وقد تغير حين سمع مقالته تخوفطنته واعاد [illegible] فبلغ كلامه
قيصر فادناه وساله فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه
فامر

فامر قيصر بالقبض على سابور فقبض عليه وقرب من قيصر وساله
عن نفسه فتعلل بضروب من العلل فقال ذلك المتفرس لا تقبلوا
قوله فهو سابور لا محالة فامر قيصر بقتله لبرعيه بذلك ولعرف
لهم انه سابور ⊙ **وكان يقال** قلوب الحكما تستشف الاسرار
من لحظات الابصار ⊙ وطال ما دلنا وابل المبصرات على اواخر
المنتظرات ⊙ وقيل كما ان الابصار مراى تنطبع فيها المشاهدات
اذا سلمت من صدا الافات ⊙ فكذلك العقول تنطبع فيها بعض
الغائبات اذا سلمت من صدا الشهوات ⊙ وقيل من الادلة على مكاشفة ⊙
الله القلوب ببعض الغيوب ان الانسان قد يتوقع الشي يكرهه
او يحبه ثم يكون ذلك الشي الذي يتوقع على نحو ما يتوقع منه فقد يرى
الانسان الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه اليه او يبغضه
لغير اساة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان والاساة قيل
فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس حبسه قيصر مكرها وامر

فعملت له من جلود البقر صورة كأعظم ما يكون من البقر وطبقت عليها
الجلود سبع طبقات واتخذ لها باب من أعلاها في ظهر الصورة يدخل إليها
ويخرج منها وجعلت فيها كوة في أسفلها في موضع المبال وأمر سابور
فجمعت يداه إلى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها
تناول ما يصلحه من طعامه وشرابه وغير ذلك وأدخل سابور في
جوف الصورة وهذا بعد أن حشد قيصر جنوده واستعد لغزو بلاد
الفرس ووكل بتلك الصورة التي سجن فيها سابور ما يتم من رجال ذوي
البأس والنجدة والشدة يحملونها دولاً بينهم وجعل على كل خمسة منهم
رئيساً يبسط أمرهم وصرف أمر جميعهم إلى المطران ومعنى هذا اللقب
صاحب البلد وهي رياسة دينية وهو خليفة البطريك فكانت تلك
الصورة تحمل بين يدي المطران فإذا نزل العسكر أنزلت تلك الصورة
التي فيها سابور في وسط العسكر وضربت عليها قبة تسترها وأطا فت
بها خمسون من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم وضربت حولها عشر
قباب

قباب مستديرة بها في كل قبة خمسة ورئيسهم معهم ⊙ وضربت
للمطران قبة تجاوره قبة سابور وضربت خارج القباب كلها أخبية
يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب أقدارهم ومرا تبهم
وسار قيصر محتفلاً في جنوده وقد عزم على إخراب بلاد الفرس
وتعفية معالم ملكهم لعلمه أن لا دافع يدفع عنهم وكان
يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما دامت له دولة ريح إقبال
كما أن العجز إضاعة الفرصة فيه إذا أدبرت دولته وركدت ريح
إقباله ⊙ وكان يقال العاقل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت
فيه خصلتان الانهماك في اللذات وإضاعة الفرص وكان يقا ل
تمييز الملوك عن السوقة إنما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة الآلا ت
وفضيلة ذات الملوك بخمس خصال ⊙ برحمة تشمل رعيته
ويقظة تحوطهم ⊙ وصولة تذب عنهم ⊙ ولبانة يكيد بها الأعداء
وأما فضيلة الأدوات فاتخاذ المباني الوثيقة العلية ⊙ والملابس

الابنية الشريفة ⊙ والذخاير النفيسة السنية ⊙ والمطاعم الشهية
والمراكب البهية ⊙ فهذه فضيلة تفضل بها هذه الادوات على ما هو
دونها من اجناسها فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب
فضل على غيره من الثياب ⊙ وللذخيرة فضل على غيرها من الذخاير
وللطعام فضل على غيره من الاطعمة ⊙ وللدابة فضل على غيرها
من الدواب ⊙ فالفضيلة لهذه الاشياء لا لمالكها **قيل**
فلما سار قيصر بجنوده ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال
وزير سابور للبطريك انما استفدت بخدمتك والقرب منك الرغبة في
صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود وجر
منفعة الى مضطر ⊙ وقد علمت كفايتي على مداواة وان نفسي تتاق
الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل الله تعالى ان يستنقذني
نفسا صالحة يترحم علي من اجلها ويقدس فليتخذ منها ويحفظني لها
فذكر البطريك ذلك وقال له قد علمت اني لا استطيع مفارقتك
سامعه

سامعه فكيف تطالبني بالسفر البعيد عني ما ظننت انك تلقاني بما
اكرهه وتسومني ما يشق علي احتماله كما لم اظن انك تؤثر شيا من
الاشياء على القرب مني والتحبب الي فلقد ازالني عن حسن ظني بك
ولم يزل الوزير يتضرع الى البطريك ويتذلل له ويتوسل له العود الى
ان سمح له بذلك ⊙ فاذن له وزوده وكتب معه الى المطران كتابا
يخبره فيه انه قد بعث اليه بسويداء قلبه وسواد بصره فليحله
من نفسه باعلى المراتب وليستقضي رايه فيما اشكل عليه فقدم
وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه في بيته وجعل
زمام امره ونهيه في يده ⊙ وجعل الوزير ينفق على المطران بما
يعجبه ويستميله بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة باخبار ممتعة
رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلا بذلك ويدس
في احاديثه ما يحب ان يعلم به سابور من الاخبار ويفطنه له من
الاسرار فكان سابور يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير قد اعد

تخلص سابور انواعا من المكايد نهاها واستسهلها عند ما اقدم على المطران
وكان يقال من ظن من الملوك ان فطنته على فطنة وزيره فضيلة
فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة الوزير لم يفلح وانما
كانت الوزراء اثقب من فطن الملوك لان الملوك ينفقون بالهم في سياسة
الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه شيء بالجوارح التي تصيد وتفترس
وتصيدها ايضا جوارح اشد منها فهي اعرف الجوارح بمكايد الافتراس
ومكايد الاكتساب ⊙ وكان يقال احسن الوزراء حالا من اعد
لكل امر يجوز توقعه ويمكن كونه عدة فاذا وقع الامر فاملة ما كان اعد
له واسوا الوزراء حالا من توكل على لطف فطنته وقوة حيلته ودربه
ممارسته فترك الاعداد للامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما هو
في ذلك بمنزلة تزوير القول واعداده ورويته توكلا على فصاحة لسانه
وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولي عليه الحصر
والعي في بعض مقاماته وبمنزلة من ترك السلاح توكلا على قوة بدنه
وشجاعة

وشجاعة قلبه فيوشك ان يظفر به عدوه في بعض المواطن ⊙
قيل وكان من المكايد التي اعدها وزير سابور انه امتنع من مواكلة
المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام الذي يرده البطريك طعاما
غيره لما يرجوه من بركة الاغتذاء به فكان اذا احضر طعام المطران
اخرج هو من ذلك الزاد وانفرد بالاكل منه فلم يزل قيصر سائرا
بجنوده حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وثغور المياه
وقطع الشجر واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك يواصل السير
مبادرا ليستولي على دار ملك سابور وغاب عنها من رؤساء
الفرس من قبل ان يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس همّ الا الفرار من
بين يديه والاعتصام منه بالمعاقل فلم يزل قيصر على تلك الحال حتى
ط ⊙ بلغ مدينة سابور وقرارة ملكه وهي المسماة جندي سابور فلما
بها جنوده ونصب عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء
١ الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا

قد علمه سابور على التفصيل فيما يفهمه له وزيره ويدسه له في احاديثه
من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم نسمع منه كلمة منذ
سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم سابور ان قيصر قد ثقلت وطأته
على اهل جندي سابور وقد ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح البلد
عيل صبره وساء ظنه بوزيره وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه فلما جاءه
الموكل بطعامه قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالا اضعفت
عن احتماله فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عني شيئا منها واجعلوا
بينها وبين عنقي وبدني خرقا من الحرير فجاء الموكلون بطعامه الى
المطران واعلموه بذلك فسمع وزير سابور ذلك فعلم ان سابور قد جزع
وساء ظنه بوزيره وفطن لما قصده سابور فلما جن عليه الليل وجلس
لمسامرة المطران قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ
كذا وكذا ولوددت اني كنت حدثت البطريك قبل سفري هذا عنه
قال له المطران اني ارغب اليك ان تحدثني به ايها الحكيم الراهب فقال
الوزير

الوزير نعم وكرامة ثم اندفع رافعا صوته يحدث المطران ليسمع سابور
انه كان عندنا بخلقيقية فتى وفتاة في نهاية الحسن والظرف فاسم
الفتى ما معناه عين اهله واسم الفتاة ما معناه سيد النساء
وكانا زوجين مؤتلفين متحابين لا يبغي احدهما بالآخر بدلا وان عين
اهله جلس يوما مع فتيان يحدثون فتذاكروا النساء الى ان وصف
فيقال
احدهم امرأة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ما معناه سبيكة
الذهب فوقع في قلب عين اهله ميل اليها فسأل الواصف لها عن امرها
فذكر له انها بقرية غير قريبة من اهله ففكر عين اهله في امرها وخا مره
حبها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا وكان يقال العقل
كالبعل والنفس كالزوجة له والجسم كالبيت لها فاذا كان سلطان العقل
على النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المرأة التي
قهرها بعلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها وبعلها فصلحت الجملة
واذا كان سلطان النفس على العقل مبسوطا كان سعي النفس فاسدا نزعا تها

كمثل المرأة التي قهرت بعلها ۞ قيل فانطلق عين اهله الى القرية
التي تسكن بها سيدة الذئب وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل يتردد
اليه احيانا حتى راها فراى منظرا رائعا ولم تكن باحسن من امرأته
وانه كان يقال من ضرورة النفس ان تخرج الى التنقل في الاحوال اذا
كانت تعلقت بالتركيب الى عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق الى عالم الفساد
وما افتتح امره بالنقلة وختم امره بالنقلة فاللائق به التوسط بالنقلة
ونازعت عين اهله النفس الاستكثار من رؤية سيدة الذئب فلزم
المعاودة الى منزلها والتمتع بالنظر اليها حتى فطن له بعلها وكان
جلفا غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذئب فرصد
عين اهله فلما راه وثب عليه وقتل فرسه ومزق ثيابه ولعنه
واعنف عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه
الى دار الذئب وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها ووكل به عجوزا
غور العين قطعا اليد للرجل شوها الخلق سية الحال فلما جن عليه الليل
اوقدت

اوقدت تلك العجوز نارا بالقرب من عين اهله وجعلت تصطلي فتذكر
عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية والعز في زمرة عالية
فاقبلت عليه العجوز وقالت ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد
الذلة والشدة ۞ فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت
العجوز هكذا قال الفرس للخنزير فلم يصدقه ثم باحثه عن امره
فظهر على ما خفي عنه وعلم صدق الخنزير فقال عين اهله للعجوز
رأيتني ان تحدثيني به وكيف كان فانك تحسنين الي بذلك ۞ قالت العجوز
زعموا ان فرسا كان لاحد الشجعان وكان يكرمه ويحبه ويحسن اليه
ويتعهده بنفسه ولا يصبر عنه ساعة وكان يخرج به في الغدوات الى
مرج فينزع عنه لجامه وسرجه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى
يرتفع النهار فيركبه وانه خرج يوما الى المرج ونزل عنه فلما استقرت
قدمه على الارض نفر الفرس وجمح ومر بعيدا بسرجه ولجامه فطلبه
الفارس يومه كله فاعجزه وغاب عن عينيه عند غروب الشمس فرجع

الفارس الى اهله وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب عن الفرس واظلم
عليه الليل جاع فرام ان يرعى فمنعه اللجام ورام ان يتمرغ فمنعه السرج
ورام ان يستلقي على احد جنبيه فمنعه الركاب فبات بشر ليله فلما اصبح
ذهب يسعى فرحا مما هو فيه فلم تشوشه نهر فدخله ليقطعه الى الضفة
الاخرى فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم
يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر اصابت الشمس اللبب والحزام فيبسا
واشتد عليه لبانه وبطنه فاشتد الضر عليه الى ما به من الجوع
فلبث بذلك اياما الى ان ضعف عن المشي فقام فمر به خنزير فهم بقتله
ثم عطفه عليه ما راى به من الضعف فساله عن حاله فاخبره بما
هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وساله ان يصطنع عنده
معروفا ويخلصه مما به فساله الخنزير عن الرتبة التي استوجب بها تلك
العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له فقال له الخنزير كلا بل انك لذو عمه
وجهلك بجرمك فان كنت يا فرس كاذبا فما ينبغي لي ان انفس عنك خناقا

ولا استطيع

ولا استطيع عندك معروفا ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك
شكرا او اطلب فيك اجرا **وكان يقال** اذا رايت نفس الكذاب
قد تشبثت بها عالم الفساد فخلها اليه فانه اللائق بها لفساد تركيبها
والدليل على فساد تركيب نفس الكذاب انها مضطربة معرضة عن الحقيقة
في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل
حقا وتصوره ذلك في نفس المخبر بها الراكن الى قولها وكان يقال
احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة لئلا تسرق طباعك من
طباعهم وانت لا تشعر ⊙ وكان يقال الصعب ما يعانيه
الانسان ممارسة صاحب لا يتحصل منه على حقيقة ⊙ ⊙
وكان يقال لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول على مصافاته
فان طباعه اصدق له منك فلن يترك طباعه لك ⊙ ثم قال
الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة ⊙
فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرج فلاحه ⊙

وكان يقال أمر الجاهل فانه يجني على نفسه ولست أحب
اليه منها وكان يقال لا شي اشبه بالكذب من الجهل وذلك ان الكاذب
يشابه الصوره والقضيه المحسوسه وتخيل الكذب الذي هو ضدهما
حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل
يرى الاشيا على خلاف ما هي عليه فيرى الحسن قبيحا والقبيح حسنا
وانما الفرق بين الجاهل والكاذب ان الكاذب ياتي ما يعلم خطاه فيه
والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد جناية من
الكاذب فقال الفرس للخنزير ينبغي للانسان لا يزهد في اصطناع
المعروف فقال الخنزير اني لست بزاهد في ذلك ولكنه كان يقال ل
العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير البادر لحبوبه التي يبذرها زكي من الارض
فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك عن حالك قبل ذلك
لاعلم من اين دهيت فحدثه الفرس جميع امره وكيف كان عند فارسه
مكرما وكيف فارقه وما لقي في طريقه الى حين اجتماعه به
فقال

فقال له الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بحرمك وان لك ذنوب
ستة ⊙ اولها خذلانك فارسك الذي احسن اليك واعدك للمهمات
والثاني كفرانك احسانه ⊙ والثالث اضرارك به في طلبك ⊙
والرابع تعديك على ما لبس لك وهو اللجام والسرج ⊙ والخامس
اسائتك الى نفسك بتعاطيك التوحش الذي لست له اهلا ولا لك
عليه مقدرة ⊙ والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك على غوا يتك ⊙
فقد كنت متمكنا من العود الى فارسك والانتقال من فرط جهلك قبل
ان يوهنك اللجام بالجوع واللبب والحزام بالضبط فقال الفرس المخبرج
اذ عرفتني بذنوبي وايقظتني لما كنت جاهلا عنه محجوبا بحجاب
الجهل فانطلق الان ودعني فاني مستحق لاضعاف ما انا فيه
فقال الخنزير اما اذ عزمت على ذلك وفطنت لجهلك ولمت
نفسك ووبختها واخترت لها العقوبة على جهلها واستعملت الحكمة
التي وعيتها فانك حقيق ان ينفس عنك وانه قيل ان الملوك

كتب على بابها انه لن ينتفع بحكمتها الا من عرف نفسه ووقف بها
عند قدرها فمن كان بهذه الصفة فليدخل والا فليرجع حتى يكون بهذه
الصفة ۝ ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفض
عن الفرس فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته له
من المثل اقبل على العجوز وقال لها صدقت فيما نطقت وضربتني لي
مثلا كشف لي عن جلية امري وافدتني حكما لا انساها وادبتني
فتادبت ووعظتني فاتعظت ثم حدثها حديثه ورغب اليها ان تحن عليه
بالاصطناع وتلطفه كما فعل الخنزير بالفرس ۝ فقالت العجوز
انك غر لا بصيرة لك باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكنني فعله
الان ولعلي ان احتال لك فيه بما يخرجك مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت
العجوز عن مخاطبته عين اهله فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه
الغاية اقبل على المطران وقال له اني احس في راسي صداعا وفي
اعضاي فتورا ولا يمكنني الليلة اتمام الحديث ولعلي اكون في الليلة

القابلة

القابلة نشيطا الى ذلك قادرا عليه فاحمل مسيرتك باحماله ونهض
الى مضجعه فجعل سابور يتصفح حديثه ويتدبره ويتامل الامثال
التي ضربها ففهم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك فارس
وكنى عن مملكته واقليم بابل بسبيكة النار لان قومه يعبدون
النار وكنى عن بلاد الروم بسبيكة الذهب وكنى عن قيصر
بالذئب التي ذكر انه بعل سبيكة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور
الى مملكة الروم بطموح نفس عين اهله الى رؤية سبيكة الذهب
وكنى عن اخذ قيصر له بقبض الذئب على عين اهله وفصل بما ضربه
له من الامثال الحكمية تاديبه على شرهه وتغريره بنفسه ومخالفة
نصحائه وكنى عن نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة
المطران وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز العوراء القطعاء الجدعاء
الشوهاء السيئة الحال وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في ذلك الوقت
وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته

ثقته بوزيره واستروح الفرج وبات بتلك ليلته وغدها الى الليلة
القابلة فلما تعشى المطران واخذ مقعده للمسامرة قال الوزير
سابور ايها الراهب الحكيم اخبرني ما كان من امر عين اهله وكيف
كانت عاقبة شدته وهل خلصته العجوز من وثاق الذيب ام لا
فان نفسي متطلعة الى ذلك فقال اراك الليلة صالح الحال فقال الوزير
سمعا لامرك وطاعة فاقبل عليه فقال ان عين اهله اقام على حاله
موثقا طول ليلته تلك فلما اصبح دخل الذيب فهدده بالقتل وزاده
قيدا الى وثاقه وخرج عنه وانقطع عين اهله نهاره كله بالاماني
فلما جنه الليل قلق واستوحش وهاجته الافكار الموحشة وبكى وانتحب
فجاءت العجوز واضرمت نارا وجلست تصطلي قريبا منه ثم اقبلت على
عين اهله فقالت له تعز واصبر واذكر مصايب الناس وتأس بهم
ولا تذهل عن النعمة العظمى في حفظ نفسك فقال لها عين اهله
لقد صدقت ولكن بالله هاتي على الطريق ما بقي لي اسوة فقالت العجوز ايها الفتى

٤٠ ان حداثة السن تصرف بك عن ادراك كثير من الحقايق افتسمع حديثا
لك فيه سلوة قال نعم وانعمي به علي **قالت العجوز** ذكروا ان تاجرا
مكثرا كان له ابن ليس له ولد غيره وكان شديد المحبة له والشفقة
به فاتحفه بعض معارفه بغزال شيخ صغير فعلق قلب الغلام به فكان
لا يفارقه وجعل اهل التاجر على ذلك الغزال حليبا نفيسا وان يبطروا — وان يبطروا صح
له شاة ترضعه حتى اذا اشتد الغزال وشد نجم قرناه فقال الغلام
لاهله ما هذا في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه سوادهما وبريقهما
فقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان حتى يكون صفتهما كيت وكيت
فقال الغلام لابيه احب ان ابتغي ظبيا له قرنان كبيران فامر ابوه
فصيد له ظبي تام السن قد استحكم قرنه ونموا فاعجب الغلام به واكرمه
اهله وحلوه والكسوه فانس والف الغزال الظبي للمجانسة الطبيعية
فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي في الارض شكلا
ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا كثيرة سواك فقال له الظبي ان

اشكالك لكثيرة فقال له الغزال ابن هي فاخبره الظبي بتوحشها
وانفرادها في فلوات الارض فرارا من الناس وحرمته عن مراتعها وموارد دما
وازدحامها وتناسلها فارتاح الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها
ليكون معها فقال له الظبي هذه امنية لا خير لك فيها وانك قد
نشأت في رفاهية لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لندمت
وانه كان يقال بلية من لم ينزلها منزلتها ويرع لها حقها اشد من مقاله تنبه
والتحول عن قرب ربي الملوك ○ والعلماء ○ والنعم ○ وانه كان
يقال الاماني في الشدة ارباح ○ وفي الرخاء جماح ○ فلا ينبغي ان
ياذن العاقل لنفسه من الاماني الا في المقدار الذي يؤنس الوحشة و ينفس
الكربة فان استيلاء الاماني على النفس كامر السفل الذين يعبدون الوثن
احجارا والاحجار وتسا ويسعون في قلب الاعيان وتغيير صور الصور
فقال الغزال للظبي لا بد لي من اللحاق باخوتي فلما راى الظبي ان الغزال
غير منته وخاف عليه ان يقطع به قبل بلوغه ما تمناه لانه [illegible]
يعر

٤١ يعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه
ليقضي حرمة القنية اياه فصحبه حتى امكنه فيه الفرار فخرجا معا حتى
لحقا بالصحراء فلما عاينها الغزال فرح ومرح وذهب يعدو ولا ينتبه
شيء فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل فحصل فيه وانتشب وطمع
ان يانيه الظبي فيخلصه فلم ياته فبقي هنالك وان التاجر لما اصبح
عدم الغزال والظبي فجزع لفقدهما واشفق ابنه عليه فاستدعى كل
من كان يعاني الصيد بمدينته تلك فعرفهم القصة وكلفهم طلب
الظبي والغزال ووعد من وجدهما وعدا مرغوبا فيه وانبثوا في سهل
الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر دابته وفرق اتباعه على باب المدينة
ينتظرون من ياتي من الصيادين وانطلق هو وعبدانه حتى اتوا الصحراء
فراوا على بعد رجلا مكبا على شيء بين يديه فاسرع نحوه فاذا هو صياد
قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه فاذا هو ذلك الظبي الذي يطلبه فخلصه
من يد الصياد وامر بحبسه ففتشوه فوجدوا معه الحلي الذي كان على الظبي

فسأله كيف ظفر بالظبي وأين وجده فقال لهم إني نصبت في هذه الليلة
الصيد فنصبت شركا وكنت قريبا منه فلما أصبحت جاء هذا الظبي ومعه
غزال فمشيا [illegible] في جهة غير جهة الشرك وجاء هذا الظبي
يمشي حتى وقع في الشرك فأخذته وقصدت به المدينة حيا
لعلمي أنه إذا رآه ذو حياط وثبت بما عليه من الحلي فرأيت أن أدخله
وأدخل به كما هو فهذا خبري فقال له التاجر لقد خفي عليك
شيئان الخيبة والحرمان فماذا عليك لو أطلقته وحصلت أنت على
ما كان عليه من الزينة لقد صدق القائل لا يدخل الشره مدخلا
إلا أعقبه المحرمة ولا يدخل البخل مدخلا إلا أعقبه
الحسرة ألا ترى أن من جملة الشره والبخل على أكل اللقمة
التي عافتها نفسه كان معرضا للحرمة سرع ما أكله والحسرة
عليه عند فراقه ثم إن التاجر بعث بالظبي إلى ولده مع أحد عبيده
وقال للصياد ارجع معي فأرني الجهة التي رأيت الغزال سعى نحوها
فرجع

فرجع به إلى تلك الجهة وجعل الصياد يفتش ويتشوف على المواضع
المرتفعة ويمشي التاجر على رسله فسمع صياح الغزال الذي صوته
فصاح به التاجر فلما سمع الغزال صوته عرفه فصوت فاتبع التاجر
الصوت حتى وقف عليه فإذا هو في أخدود ذي شوك في الأرض
متشبثا فيه فأخذوه ونادى الصياد فوهب له دراهم وأصرفه
ورجع التاجر بالغزال إلى ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الغزال
يتجنب الظبي إذا رآه ولا يألفه وكان إذا حصل معه في موضع نفر منه
أشد النفار فتنغصت مسرة الغلام لذلك وجهدوا أهله بكل حيلة
أن يجمعوا بين الغزال والظبي على حال ألفة وسكون فلم يقدروا
على ذلك فبينا الغزال يوما نائم في بيت إذ دخل عليه الظبي
فعاتبه على نفاره منه وطول هجرته فقال له الغزال أنسيت غدرك
بي أحوج ما كنت إلى عونك وأوثق ما كنت بنصرك فقال له الظبي
إني لم أغدر ولم أخن ولكن عدم رسوخك بعلم التجربة أوقعك في

تنهر البري واني لم اتاخر عن تخليصك مما حصلت فيه الا مضطرًا للتاخر
عنك عاجزا عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه جعل
في شرك الصياد فقبل الغزال عذره وعاد الى ألفه قال
فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ارادته به
من ذكر عجزها في تخليصه امسك عن خطابها ❁ قيل فلما انتهى
وزير سابور في حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطر ايها
الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد تأخير اخباري بعاقبة
ما كان من عين اهله وما لقي من الذيب وما صنعت معه العجوز
فقال الوزير اني لعازم على ذلك لفتور اجده في اعضائي فقال
المطر ان لا تفعل فان ذلك يسوئني ويشق علي فاحمل لي على نفسك
الليلة ايها الحكيم فاني راغب في تانيسك معجب احاديثك
فقال الوزير نعم افعل ذلك ايها الملك صاغرا ولو علمت ايها المطر
ما ادخرت لك من الاعاجيب في الاخبار وغرايب الاثار لعجبت من ذلك
الشم

أشد العجب ثم اندفع يحدثه فقال ان عين اهله لما سمع حديث العجوز
وفهم ما ارادته به امسك عنها ولبث ليلته تلك فيها سوا حال
ولما اصبح دخل عليه الذيب فنال منه ونغصه وتهدده بالقتل
وزاده قيدا ثقيلا وعرفه ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له منه
وخرج من عنده فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها بالفرج
فلما اقبل عليه الليل استوحش وبكى وانتحب وانتظر ان تجلس اليه العجوز
وتحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول والخروج الى البيت
الذي فيه عين اهله ولا تستقر فيه فساءه ظنه وايقن بالهلاك وما
شك في ان الذيب يقتله تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى ذهب
صدر من الليل ثم قال للعجوز ما لك لا تؤنسيني في هذه
الليلة بحديثك وتجلسي الى مجلسك اليه وقالت له اما كان لك
في زمني قطعا حدا عن اشوم ما حملك على التاسي والتسلي وحمد
الله وشكره على سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء هو اعظم

من بلادي حتى قلت لك هان علي الطلب ما لقي الاسير ولو اعتبر ناظر
حالي بما ظهر لك منها لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع الي
احدثك حديثي اعلم ايها الفتى اني كنت زوجة لبعض الفرسان
وكان لي محبا وبي رفيقا وبي محبا فكنت في ارغد عيش والذه
فلبثت بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا كثيرة ذكورا واناثا
فكبروا وانا في رفاهية من العيش فغضب الملك على زوجي لامر كان منه
فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني انا وبناتي منه فاشتراني هذا
الفتى الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية واساء الي وكلفني
من العمل ما لا اطيق واكرهني وعاقبني على غير ذنب لما طبع عليه
من القسوة والفظاظة فسالته مرارا ان يرفق بي واستعنت
عليه باخوانه ليخفف عني او يبيعني فلم يرده ذلك السوال والشفا عة
الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه
فادركني فجدع انفي ثم عاود قسوته علي واضراره وعاودت مسالته
والاستشفاع

والاستشفاع اليه وهو مقيم على حق آبائي فمكثت كذلك سبع سنين
٤٣ اخرى فررت وظفر بي ففقا عيني وعاود عسفي فمكثت سبع سنين اخرى
ثم فررت منه فظفر بي وقطع يدي وقال لي ما بقي لي من اعضائك
التي انتفع بها الا عينك ويدك فان هربت بعدها قطعت رجلك
معا ثم ابقيك انتفع بعينك في الحراسة وبيدك في العمل واحتم
على ذلك بتغليظ الايمان ثم عاود عسفي ومضرتي وقد عزمت
على ان احلفك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما انا فيه
ولقد اراني اكثر الدخول والخروج الباب وانما ذلك لتحيري وجزعي
من الموت وقد طابت نفسي على الموت ثم انها فتحت فودعت اهله
وقطعت رفاقه وتناولت سكينا لتقتل نفسها فقال لها العبد امهلي
لئن تركتك تقتلي نفسك فقد شاركتك في دمك وانتزع السكين
من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي نخرج معا او نعطب معا
فقالت له ان كبر سني وضعف بصري يمنعاني من اتباعك والهرب

فقال لها غير اهله ان الليل شنيع والموضع الذي نأمن فيه قريب
وبي قوة على حملك فقالت العجوز له اما اذ عزمت على هذا فاني لا احوجك
ان تحملني ما دامت بي قوة ۞ وخرجا معا فلم ينقض الليل حتى بلغا حيث
امنا فجزاها عن اهله خيرا عما صنعت وانحدرها اما ليبيع لها او يطيع
هذا ما بلغني من ذلك فقال المطران ما اعجب احاديثك ايها الحكيم
ولقد وددت ان لا افارقك ابدا ۞ وان سعي هذا يطول لتطول متعتي بك وتعظم
حظي من انسك ولقد استغنت بي مفارقة الاهل والوطن لك ونهض كل واحد
منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل امثاله
ففهم ان الغزال مثل لسابور وان الظبي مثل للوزير وان خروج الظبي مع الغزال
الى الصحراء وحصول الغزال في الاخدود مثل لصحبة سابور ووزيره حتى
حصل سابور في حبس قيصر وان نفار الغزال عن الظبي مثل لسوء ظن سابور
بوزيره لتاخره عن استنقاذه وعرف ان الوزير قد عزم على استنقاذه
والخروج به الى المدينة ليلا وان المدينة قريبة منهما وانه يحمله ان عجز عن

المشي

المشي فايقن سابور بقرب الفرج ۞ ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير ٤
سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطران والموكلين بسابور
في حال الخلوة والقى في جميع الاطعمة مرقدا قوي الفعل ولما حضر طعام
المطران انفرد وزير سابور باكل زاده على ما جرت به عادته فلم يكن الا
ساعة حتى استحوذ المرقد عليهم واخذوا صرعى في مراقدهم ومراصدهم
وبادر وزير سابور ففتح باب الصورة عن سابور واستخرجه من الجامعة
من عنقه ويديه وتلطف حتى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جهة
سابور وهي مدينة ملكه فانتهيا معا الى سورها فصرخ بهم الموكلون بحراسة
السور فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض اصواتهم واعلمهم بسلامة ملكهم
وعرفهم بتثبته بالبدار وادخلوهما المدينة فقويت نفوس اهلها وامرهم
سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد اليهم ان ياخذوا اهبتهم
فاذا ضربت النواقيس للنصارى القريب الا خرجوا من المدينة وافترقوا
في عسكر الروم وقاموا على اهبتهم وتعبيتهم حتى اذا ضربت النواقيس

الضرب الثاني حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره واحدقت
كتيبة عظيمة فيها شجعان اساورته وقام معهم فيها الى الخيمة التي فيها
اخبية قيصر ولم تكن الروم متاهبين لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم
وانهم قد بنوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمهم الفرس واخذ سابور
قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره واحتوى على خزائنه وذخائره ولم ينج
من جنوده الا الشريد ثم عاد سابور الى دار ملكه فقسم الغنائم بين اهل
عسكره وافاض الصلات على جميع من في مدينته بقية احوالهم واحسن
الى حفظة ملكه وشكرهم وفوض جميع اموره الى ذلك الوزير الذي خلصه
ثم احضر قيصر فلاطفه واكرمه وقال له اني مبق عليك كما ابقيت علي
وغير مجاز لك بصنيعك بي ولكني اخذك باصلاح جميع ما افسدت من جميع
مملكتي فتبني ما هدمته وتغرس مكان كل نخلة قلعتها زيتونة ثم سرح
كل من في مملكتك من اسارى الروم فضمن له قيصر ذلك كله ووفى له به
ولما انتهى في الاصلاح الى بناء ما انثلم في سور مدينة سابور قال القيصر

فلما ضربت النواقيس الضربة الثانية حملوا من كل جهة وقصدوا سابور الخيمة

انما نبنيه من تراب بلادك فامر قيصر رعيته من الروم بحمل التراب من
بلادهم الى جندي سابور فرفع به ما انثلم من سورها ولما تم لسابور ما
اراد من ذلك كله احسن الى قيصر واطلقه الى دار ملكه بعد ان قال له خذ
اهبتك واستعد لعدوك فاني غاز ارضك عن ما قريب ⊙ قال
محمد عفا الله عنه فقد بلغت بهذه السلوانة الغاية التي نحوتها بهذا
الكتاب والحمد لله على ما تيسر من ذلك ⊙

السلوانة الثالثة وهي سلوانة الصبر وهو ثمرة التأسي

قال الله ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ⊙ ونبيه الكريم
عليه ⊙ واصبر وما صبرك الا بالله الاية ⊙ وهذا لما تمالا المبطلون عليه
وقصدوا بالمكر والمكروه اليه ⊙ كما اخبر ربنا تعالى بقوله ⊙ واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ⊙ وكان رؤساء
قريش قد اجتمعوا في دار الندوة ليتشاوروا في امر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وأتاهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ أعرابي فأرادوا إخراجه عنهم
فقال لهم إني من أهل نجد ولا عين عليكم مني وقد بلغني ما اجتمعتم إليه
ولعلكم لا تعدمون في محضري خيراً فأخذوا في مشاورتهم فقال
عتبة أرى أن تخرجوه من بين أظهركم فإن ظفر كان ظفره حظاً لكم
وإن قتل كنتم قد كفيتم أمر دمه فقال إبليس ما هذا رأي أما سمعتم
حلاوة منطقه وأخذه بالقلوب فلا تأمنوا أن يقع في حي من أحياء
العرب فيستعد لهو أمم ويسير إليكم حتى يخرجها عنكم فقال آخر منهم
أرى أن توثقوه وتحبسوه حتى يأتيه أجله وهو في حبسه فقال إبليس لعنه
الله ليس هذا برأي أما علمتم أن له أهل بيت وأتباع لا يرضون منكم
بهذا فيقع الحرب بينكم ويهن أمركم ثم قد يكون الأمر عليكم فقال
أبو جهل لعنه الله أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى جلداً ونعطي كل
واحد منهم سيفاً ويأتونه في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد
فلا يقدر أهله أن يطلبوا دمه إذا تفرق في قبائل قريش فقال إبليس

لعنه الله

لعنه الله لقد أصاب الرأي فتفرقوا على رأي أبي جهل لعنه الله
وأوحى الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخبرهم مكرهم
ويأمره بالخروج إلى طيبة وما الذين نخبرهم من القبائل بالفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله من أول الليل فأمر النبي صلى
الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه أن يلبس برده الأخضر
وينام على فراشه وأعلمه أنه لا يصل إليه منهم مكروه فالتحف
علي رضي الله عنه برد النبي صلى الله عليه وسلم ونام على فراشه
وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته متوجهاً نحو الغار والقوم
على الباب فقرأ أول سورة يس والقرآن الحكيم وأخذ كفاً من التراب فجعل
يذره على رؤوس القوم وهم لا يبصرونه وانصرف صلى الله عليه وسلم
وجعل المشركون ينظرون إلى علي رضي الله عنه في مضجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم إنما يقولون هذا محمد نائم ولا يطيقون الدخول
حتى أصبح وقام علي رضي الله عنه فنظروا إليه وأتوه وقالوا له

ابن محمد فقال لا ادري أمرتموه بالخروج فخرج فحبسوه في المسجد ساعة

خبر نبوي في الصبر

مما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم خليل المؤمن
والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر
اخوه والصبر امير جنوده فناهيك بخصلة تأمر على هذه الخصال
الشريفة وليس المراد بتفضيل الصبر على العقل والحلم وما ذكر من الخصال
معهما ولكن المراد ان بالصبر يكون الثبات على هذه الخصال لمن اتصف بها
لان معنى الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشيء من هذه الخصال
ولم يتصف بالصبر عليها والملازمة لها كان عند مزايلته كمن لم يتصف به
فالصبر لهذه الخصال الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده عن مزايلة
مراكزها والاخلال [illegible] من دفاع وانتفاع

نبذ من منظوم الكلام في الصبر

روي ان عليا رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وقيل ان مما كتب

في الصحيفة الحمراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد
يعشق المغناطيس وكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر
اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومظلة دليل وان الصبر
درج يفضي بمن عرج الى الفرج وان اقل فوائد الصبر على البلية ان
الصابر عليها يبغض لذلك عدوه المشتفي الشامت والصبر
صبران صبر العامة وهو تحمل الاشباح وصبر الخاصة وهو تحمل الارواح

وقد احكم حبيب بن اوس الطائي في هذا المعنى

لباس ذا الصبر مدرع به في الحادثات الجلل ادراع اللام
والصبر بالارواح يعرف فضله صبر الملوك وليس بالاجسام

قوله ادراع اللام اي الدروع والدرع لامة وجمعها لام وقال
حبيب ايضا فاحسن واذا رأيت اسى امرئ لغيره يوما فقد ابصرت صورة

وقال الفضل بن [illegible]

ويوم كان المصطلين بحره وان لم يكن نارا قيام على الجمر

قوله سوح اي لجوهما سوا ۝ **وقلته في ذلك** ۝

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ... ويعرف عند الصبر فيما يصيبه

ومن قل فيما يتقيه اصطباره ... فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم ۝ ۝

الصبر اولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار ۝



من لزم الصبر على حالة ... كان على ايامه بالخيار ۝

وقال عمرو ذو الكلب

ومنعدكريه قد كنت منها ... مكان الاصبعين من القبال

صبرت لها وكنت اخا حفاظ ... اذا خام اللئام عن النزال

فهذا والمنية من وراي ... ستطرقني بها احدى الليالي

قال محمد عفا الله عنه هذا انموذج من القول على الصبر على الجملة
وهو يتنوع انواعا والنوع الذي نحن بسبيله منها هو صبر الملوك
وهو عبارة عن ثلاث قوى القوة الاولى قوة الحلم وثمرتها العفو ۝

والقوة

والقوة الثانية قوة الكلاءة والحفظ وثمرتها عمارة المملكة ۝ والقوة
الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملك الثبات وثمرتها في حملة
المملكة من المقاتلة الاقدام في الملحمة ولا يراد من الملك الاقدام
في الملحمة فان ذلك من الملوك تهور وطيش وتغرير ۝ وانما شجاعة الملك
ثباته حتى يكون قطبا للمحاربين ومعقلا للمنهزمين وهذا ما دام يحفه
من يثق به ان يذب عنه ويدافع دونه ويحميه ۝ ولقد ذكرت
الفرس ان فيلا اغتلم اي هاج فدخل قصر انوشروان كسرى والفيل
قد اغتلم انكر سواسه ولم يثبت له شي الا اتى عليه واهلكه قالوا
وان ذلك الفيل قصد مجلسا كان فيه كسرى ومعه جماعة من اصحابه
فلما راى الذين مع كسرى ان الفيل قصدهم فروا من المجلس وثبت كسرى
على سريره وثبت معه [illegible] من اساورته كان مكينا عنده يثق به وبثباته
فقام ذلك الاسوار من بين يدي سرير كسرى وبيده طبرزين وقصد الفيل
فثبت له حتى غشيه فضربه بالطبرزين ضربة على [illegible] فخر الفيل

راجعا وقد نالك منها الضرر مالاشد بدا وكسرى في هذا كله لم يتخلخل
عن مجلسه ولا تغير من هيبته ولا فارقته اهبته فهذه غاية التجلد
المطلوبة من الملوك فاذا لم يكن بحضرة الملك من يثق بدفعه حسن له
حينئذ ان يذب عن نفسه اما الاقدام على العدو ان غلب على ظنه
الامتناع منهم بالاقدام عليهم او ما يهزمهم ان اتاه ما لا قبل له به
واشفق ان تغلب عليه بهلكه ⊙ كما يحكى ان موسى الهادي
كان يوما في بستان له ومعه اهل بيته وبطانته وخاصته ولم
راكب على حمار وليس معه سلاح اذ دخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا
من الخوارج جيء به اسيرا وكان الهادي حريصا على الظفر به فامر بادخاله
فادخل بين يديه بين رجلين ممسكا بيديه فلما راى الخارجي الهادي جذب يديه
من الرجلين اللذين كانا ممسكانه واخترط سيف احدهما ووثب على الهادي
ولما راى ذلك من كان حول الهادي من اهله وخاصته فروا جميعا
وبقي الهادي وحده فثبت على حماره بمكانه حتى اذا قرب الخارجي منه وكاد
ان

ان يعلوه بالسيف قال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي
حين سمع ذلك فوثب الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي وسقط
الخارجي من تحته فقبض الهادي على يده وانتزع منه السيف
فذبحه به وعاد الى ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته واهله
يتسللون وقد ملئوا منه رعبا وحيا فما خاطبهم في ذلك بحرف
ولم يكن بعد ذلك يفارقه سيفه ولا يركب الا الخيل وقد جلا عليك
هذا الخبر ما ابدأ الله به موسى الهادي من ثبات الجاش واصابة الراي
وشدة الكر وشجاعة القلب وقوة البدن رحمة الله عليه وعلى
اهل بيته الطاهرين ⁂ روضة رابعة وبقية رياضة فا
قيل وصف لكسرى انوشروان ارض من التخوم الهندية تتاخم اقليم بابل فذكرت له
بحسن المنظر وطيب الهوى والماء وكثرة الثمار وحصانة المعاقل ووصف له
اهل تلك البلد بعظم الجسوم وقلة الهموم وشجاعة القلوب وقوة
الابدان والصبر على العمارة وملازمة الطاعة ولين القيادة فتشوفت نفس

كسرى إلى تلك الأرض والتكثر بأهلها ⊙ وكان يقال الشره أعرق
الخصال في اللوم والحرص أبوه الذي يولده ⊙ والبغي ابنه الذي يلده ⊙
والطمع شقيقه ⊙ والذل رفيقه ⊙ وكان يقال من شره وقع فيما يكره
وكان يقال الشره شره يتبعها طمع ويتبعها طمع ⊙ قيل فلما
طمحت نفس أنوشروان إلى تملك تلك الأرض سأل عن ملكها فأخبر أنه
عظيم من ملوك الهند وأنه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته
لا أنه سالك صراطا من العدل لا يجور وما له همة الا من المدارة
ثغور إلى دامه برعيته فقد اشرب قلوبهم وده وصرفت آمالهم إلى عدله
فندب له كسرى رجلا من ثقات أصحابه قد اقتبس أدبا من آداب
الملوك وتفقه في سياستهم وكان ذا دهاء ومكر وحزامة وأمره
بتأمل مسالك تلك الأرض والبحث عن ثغورها ومعاقلها والاطلاع
على عوراتها والبحث عن أخلاق ملكها وأهلها وكتب معه كتابا إلى
ذلك الملك يدعوه فيه إلى الدخول في طاعته ويحذره التعرض لغوائله

مخالفته

مخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الأركن فأحسن نزله وبالغ
في تكرمته وبره وعمى عليه الأخبار وبالغ في تحجبه عن التصرف وقبض
الناس عن لقائه واحتجب عنه ولم يستطع الكتاب منه وندب
لأخباره وعلم ما قصد له رجلا من ثقات أصحابه وأدهاهم فأمره
بالتجسس على أسبابه والتلطف في مداخلته ومخالطته فانطلق ذلك
الجاسوس واكترى حانوتا بحذاء دار الرسول وملأه فخارا وجلس فيه لبيع
الفخار وكان للرسول غلام يخف به في حوائجه ويتصرف في أموره فجعل
ذلك الجاسوس إذا رأى ذلك الغلام بشر له وأكرمه وسأله عما له من
حاجة إلى أن أنس به الغلام فكان يجلس إليه ويستعين به في أمره فلبث
بذلك مدة لا يسأله عن شيء من أمر سيده فلما تأكد أنس الغلام به
قال له من تكون ومن لك في هذه الدار التي تدخلها فقال له الغلام صحبتني
منذ كذا وكذا ولا تعرفني فقال الجاسوس ما علمي فقال الغلام أنا غلام
رسول كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله

فقال الغلام كسرى ملك بابل ارسل سيدي الى ملك ارضكم فقال
الجاسوس الان عرفته حين ذكرت لي بابل لاني كنت في صباي اجيرا لرجل
من اهل بابل ثم امسك عن الغلام اياما لا يسأله عن شي وكان يقال
النقير نقير وقيل السفيه يهيب الاريب وقيل من سرع الى الامانة
فلا لوم على من اتهمه بالاضاعة ⊙ ومن اسرع في المشاركة في الشر
فلا لوم على من اتهمه بالاذاعة ⊙ ومن تنصح قبل ان يستنصح فلا لوم على
من اتهمه بالخداع ومن عني بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه
بخبث الطباع ⊙ قيل ثم ان الجاسوس قال يوما للغلام اذا خرج مولاك
فارنيه فقال الغلام ان مولاي لا ينصرف فقال الجاسوس امريض هو قال
الغلام لا ولكن ملككم حظر عليه الخروج ومنع الناس الدخول اليه
فبكى الجاسوس فقال الغلام ما يبكيك فقال الجاسوس ابكي الرحمة لمولاك
بما صوقب به لاني ابتليت بمثل ما ابتلي به وذلك اني حبست مرة في دين كان
علي ومنعت امراتي من الدخول الي فلولا ان الله من علي برجل كان محبوسا

معي وكان يسليني بحديثه ويؤنسني لهلكت غما فهل تحدث مولاك او تسليه
فقال الغلام اني لا اعرف هذا ولا اعرف خبرا احدثه به فقال له الجاسوس
انا ادلك على ذلك فقال الغلام بلى فاحسن الي بذلك فقال الجاسوس اذا
خرجت من عند مولاك فطف في المدينة وتامل ما ترى فيها واذا رايت
جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واستمع ما يخوضون فيه فاذا رجعت الى
سيدك وخلوت معه فقل له رايت كذا وكذا وسمعت من يقول كذا وكذا
فان في هذا تسلية له وايناسا من وحشته ويوشك ان اذا فعلت هذا معه
تحظى بك عنده ففعل الغلام ما امره به الجاسوس فقال له سيده من
دلك على هذا فقال الغلام انا فعلته له فقال له مولاه كلا ليس هذا
من ذوي عقلك فاخبرني من دلك عليه فقال الغلام دلني عليه
جار لنا يبيع الفخار وما اراه الا اجهل منه ولا ابله فقال له مولاه من
اين علمت جهله وبلهه فقال الغلام انه صحبني اكثر من شهر وهو لا يعرف
من انا ولا من سيدي وقد ذكرت له الملك كسرى فاذا هو لا يعرفه فلما سمع

الرسول ذلك استراب به وتفرس منه انه متجسس عليه لما رأى انه افرط في
تجاهله وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن احتمل في علوه استفل
عن علوه وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك قناع العقول
كسماع المعقول وكان يقال من لم يعرفك غائبا اذناه لم تعرفك شاهدا عيناه
قيل فلما سمع الرسول مقالته عبده امره ان يأتيه به ففعل ولما رآه الرسول
حقق ما كان ظنه به من كونه جاسوسا عليه فاكرمه وقربه وتلطف
له بجميل وصباوة لا مزيد عليها وسأله ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس
يتفقد حال الرسول في ليله ونهاره مدة متراخية ولما ظن ذلك الجاسوس ن
انه قد حصل ما اراد تحصيله من امر رسول كسرى ذهب الى الملك فاخبره
انه لا ادكار له ولا اعتناء عنده غير انه دون حديد وفرسيه فوثق الملك بقوله
وتخيل الرسول بالصورة التي مثله بها الجاسوس وكان يقال لا تكن سمعك
لاول مخبر ولا تفتك لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله الصدق
والكذب فالقضاء له باحدهما قبل الامتحان جور وكان يقال انما تقضي بصدق
الخبر

الخبر عصمة المخبر لا صدقه وشرح ذلك لان المخبر الصادق اذا لم يكن معصوما
فهو عرضة للمدلسين وفرصة للمتلبسين وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد
سلامته من التحريف فيما نقله ولا يفيد عصمة ادراكه فيما ادركه فقد
ينظر الصادق العقل الى النجم فيخبر انها غير سائرة وينظر الى القمر ودونه
مقطعات السحاب فيخبر انه ادرك سرعة سيره وينظر من سفينة جارية الى
البر فيظن ان البر يجري وينظر الى الغال السعودي فيخبر عن الاشياء بخلاف ما
هي عليه ويسمع كلام الببغا المحجوبة عن بصره فيخبر انه انسان فلم يدخل
الخلل من جهة تحريفه ولكن من جهة ادراكه قيل فلما وثق الاذكن بما
جاسوسه احضر رسول كسرى فاكرمه وخاطبه بكل قول حسن واخذ
منه الكتاب وخلع عليه واجزل صلته ورده الى منزله مكرما مبرورا
واباح له التصرف فاباح الى الناس الدخول اليه وتابع اتحافه وتكرمته ولبث
عاما ثم استحضره وسلم اليه جواب كتابه واعطاه هدية لكسرى يقال ان منها
بساطا طوله خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد مثل ما

يشغل غيره من السيوف في الرصاص وصحفة من الياقوت الازرق تسع منًّا
من الطعام ۝ وكان سائر الزمرد البحري يسع رطلا من الشراب والف درة
فريدة ۝ وقد بلغ من الكمال فيه ياقوته حمراء كبيضة الحمام اذا علق في بيت
فيه مصابيح ليلا التي شعاع الياقوته على الالوان المقابلة للحمرة فلا تشك
في حمرتها ۝ وطيبا كثيرا وعودا وعنبرا وغير ذلك ۝ وحضر الرسول
بحباء وذخائر نفيسة وصرفه الى مرسله ۝ فلما قدم الرسول على كسرى
سأله عما ندبه اليه ليعرفه فاخبره بطيب تلك الارض وفضائل خصائصها
وشرف مرافقها وحصانة ثغورها وانه لم يجد لها عورة تؤتى منها الا اغرار
سكانها فان عقولهم شهمة لقبول الخدع محجوبة عن النظر في العواقب
وان هذا موجب حسن طاعتهم لمن الفوا طاعته ولو ندب اليهم رجال يحسنون
نصب الدعوات الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم
فاذا انصرفت طاعتهم عن ملكهم لم تقم لملكهم بعد قائمة لانهم اعضاده
الذين يصول بهم وهم في الرخاء ثمار مجتناة وفي الشدة سيوف منتضاة ۝
فنظر

فنظر كسرى فيما كتب له به الازكن فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعترف
بفضله وتملقه ورغب اليه في الموادعة والمواخاة فاستشار كسرى وزراءه
في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بما التمسه فاختلفوا عليه فاجمع
على ان يرد اليه هديته ففعل ثم انه ندب لاستفساد رعيته رجالا
يحسنون نصب الدعوات واقلاب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم
وبين لهم مثالا يحتذون عليه فنفذوا لما امرهم به حتى انتهوا الى مملكة ذلك
الازكن فتصرفوا فيها واعمل كل واحد منهم قوته فيما اسند اليه فلما اتى
عليهم عام احكموا لما ارادوا من ذلك في دار مملكة الازكن وفي غيرها
من مدنه وحصونه ورساتيقه وكتبوا بذلك الى كسرى فجرد اليهم
المرزبان المتولي ربع المملكة المقابلة لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم
بابل كان مصروفا الى اربعة مرازبة لكل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما
شرع ذلك المرزبان في الحشد والاعداد كتب عيون الازكن بتلك الجهة اليه
يخبرونه بان المرزبان المجاور لجهة بلاده قد اخذ في حشد الاجناد وتا هب ۝

للاستعداد فعلم الاركن بقصد المرزبان اليه وبجم النفاق ببلده وتحدث
الناس بما كانوا يخفونه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن من غفلته
وبحث عن الامر فوقف على حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة
رجال اربعة منهم وزراء والخامس هو صاحب بيوت النيران وهو رئيس
الزمازمة والذين ياخذون عنده فجمعهم الاركن وعرفهم ما بلغه من فساد
قلوب رعيته وحشد المرزبان اليه واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم فجلسوا
يتناظرون في ابتغاء صواب الراي فقال احد الوزراء الراي عندي ان يستصلح
الملك رعيته فيما ابدت بها رغبات وقلوبها اما الا حتى يستقيم معوجها ويانس
نافرها ان عدونا ان علم ذلك جبن عن الاقدام علينا وان اقدم لقيناه بجملة مجتمعة
وايد متناصرة فقال رئيس الزمازمة انما يصلح هذا من الرعية لو كان فساد ها
بوجه هضم جورا وعسف ببرة يزال عنها فسادها فتصلح وليست رعية الملك
بهذه الصفة وانما اورد عليها الفساد جهلها بمواقع الصواب وبطرها بادر ف
النعم وقد قيل اربعة اذا افسدهم البطر لم يزدهم التكرمة الا فسادا
الولد

الولد والزوجة والخادم والرعية وضربوا لذلك مثلا للقوى الاربعة المزدوجة
اذا هاجت لتتخطى حدود المصلحة وهي الغضب اذا تعدى حد الشجاعة
وحد الانفة من الرذائل والشهوة اذا تعدت حد راحة العقل من كد اكتسا ب
الفضائل والحرص اذا تخطى حد الكفاية والكسل اذا تعدى حد راحة الجسم من
كد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربعة اذا تعدت هذه الحدود لم
يردها المداراة والرفق الا هيجانا وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها فقال
الملك صدق الحكيم ثم قال وزير اخر من الاربعة الراي عندي ان نصرف من
صلح من الرعية عمن فسد منها حتى تستقيم لنا وتستوثق لنا ثم نلتفت عن
عدونا الاخاف دغله والاخذ بغشه لانا مضطرون الى الحرب لكون
عدونا لا يرضيه الا اخذ ما بايدينا اجمله قال رئيس الزمازمة هذا
ابلغ لعدونا من حيلته واوفى لطلبته من دعاته مع انه اذا علم تحزبنا
بما بيننا تصبنا اذهبنا هيبتنا من قلبه وبلغ بنا امله وقد قال الحكما
اربعة من استعملها بالعنف والردع في اربعة احوال هلك بها الملك

في حال غضبه ۝ والسيل في حال صدمته ۝ والفيل في حال غلمته والعامة
في حال هيجها وفورتها ۝ وقالوا ان اشبه شيء بردع العامة عند تمردها
ومنعها معاناة الجدري في حال انبعاثه الى سطح الجسد فالا طلبه الراد عنه ۝
فقال الملك صدق الحكيم ۝ فقال وزير الملك الراي عندي ان يطلب اولا
تعيين من فسدت طاعته من الرعية وتميزه من سواه ثم نسري راينا
فيه بما يقتضيه حاله من كثرة او قلة او نباهة او ضعة او ضعف
او قوة فيقابله بما توجب حاله من التدبير ۝ فقال رئيس الزمامة
البحث الان عن هذا امر خطر لانه يوحش المريب فيحركه على اللحاق بعدونا
واعتماده بالنصائح علينا ودلالته على عوراتنا واذا لحق بعدونا فانا
معه على بصيرة ليست لعدونا وبدا ما عنده في الرعية الى وطنه واهله
وماله وعدونا لا يقاتلنا على امثال ذلك ومتى لم ينفصل عنا المريب بل
بقا منا في موضعنا وكاشفنا ونكث علينا انسلاله من الرعية
نبصره وان لم يكن على مثل رايه بعلة مشاكلته له كما ان الكلبين لا عتهما
تعاديهما

تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذيب اذا ابصراه ولا يلتفتان
الى تحقق الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما يامرانه ويصطلحان في التعاون
عليه نظرا الى خصيصي توحشه وانفته وجراته فكذلك العامي
لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق الانساني بل ينظر اليه من
خصيصي تفرده وانفته وعلو همته فيباعده لذلك ويالف العامي الذي
يشاكله في الاخلاق بعلة المشاكلة ۝ وقد قالت الحكما لا تثقن كاشفهم
بالامتحان في ثلثة احوال اختبرتهم مودتك في حال استقلالك وصديقك ۝
في حال اختلالك وامانتك في حال اكتمالك والرعية كالزوجة وادبار
الدولة كالاكتهال وقالوا امثل ذلك مثل امتحان قوى معدة الناقهين
من الامراض بالاطعمة الغليظة ۝ فقال الملك صدق الحكيم ۝
فقال وزيره الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا ۝ اما انا فاحدث
الملك حديثا اخبرني به مودبي وكان اخر ما ادبني به وقال لي احرز
هذا الحديث في حبة قلبك ولا تنسني ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه

واني لاحسبه بهذا اليوم فقال الملك قل نسمع حديثك فقال رئيس الزمازمة
ما اولاه بالاصابة فقال الوزراء الثلثة انه لكذلك فقال الوزير
الرابع انما نحن كالاصابع للراحة في افتقار بعضها الى بعض وقوة بعضها
ببعض وتزين بعضها بعضا ثم انا نستمد من نور عقل الملك السعيد
ونظرنا اليه كما تستمد الدراري من نور الشمس وكلنا الى الملك محتاج وبه
مفتقر فقال الملك بل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن بعث
عنه فانتم في مناصحتنا والغنا عنا والاداء الينا كالحواس الخمس للقلب
تستمد والله اجمعون ثم قال ذلك الوزير الرابع زعم مودبي ان رجلا
من التجار كان موسرا وكان ياوي في داره الى بيت مبطن السقف وفيما
بين ذلك السقف وبطانته فيران كثيرة فكن في سرور ودعة من الاسنة
وبسبب الطعمة يمرحن النهار كله على خلال البطانة فاذا جا الليل نزلن
من السقف يتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن واحتملن
فكن اذا هن على التاجر وانه دخل يوما مسكنه ذلك واستلقى فيه
مفكرا

٥٧
مفكرا في بعض شانه وجعلت الفيران يمرحن على بطانة السقف
والتراب يتساقط من خلل الالواح على التاجر فضجر التاجر من ذلك ووثب
مبادرا وامر بتحويل ما في البيت من الاثاث وامر عبيده بقلع بطانة السقف
وانتشر الفيران في البيت فقتلهن شر قتلة ولم ينج منهن الا جرذ وفارة
وكانتا غائبتين عن السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع
الفيران في الدار اغمهما ذلك واقبل الجرذ على الفارة وقال لها لقد صدق
الحكيم في مقالته من صحب الدنيا واثقلها كان كالنائم في الظل
الذي يكون قبل طلوع الشمس الى ان يصعد ابن فلكها الاعلى فيتقلص الظل
عنه فيبقى قطه حر الشمس ولا يجد الظل عينا ولا اثرا فقالت الفارة
صدقت فماذا ترى فقال الجرذ ارى ان لا اسكن موضعا نيل منه هذا
المنال وافر من الانس جهدي فان جمعهم شديد وحلمهم اضعاف قوة غيرهم
من العوالم فقالت الفارة انا معك فانطلقا معا حتى اتيا ارضا
بها اخلاط من الوحش يكنف واديا معشبا فيه غدران ما جاريات

وسلاحف وضفادع فأعجبهما ذلك وسارا معا الوادي يلتمسان موضعا
يحفران فيه جحرا لهما فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي قد انجاب
عنها السيل يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل ذلك الربوة جحرا رضيا واو طناه
وانهما غدوا يوما من الايام تلك الرابية فرايا في اعلاها يربوعا قد علت
منه على باب جحر له فرحب بهما وحادثهما وسالهما عن امرهما فاخبراه الا ان
ذكرا انهما اوطنا جحرا في اصل تلك الربوة فقال لهما اليربوع لولا ان
النصح كثيرا ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما فقالا له ما احوجنا الى ذلك
فقال الم انه كان يقال اربع لا تقدم عليها حتى تسال عنها الخبير بها
السوق لا تقدم عليها حتى تسال عن النافق والكاسد فيها ۝ والمراة لا تقدم
على خطبتها حتى تسال عن منصبها وخلقها ۝ والطريق لا تسلكها حتى
تسال عن امنها وخوفها ۝ والبلد لا توطنها حتى تسال عن مرافقها وسيرة
سلطانها واخلاق اهلها وقوة من يجاور اهلها وبلادهم وكان
يقال انظر الى المستنصح فان اتاك بما يبصر غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير فاجتنبه

٥٩

فان اتاك بما ينفعك ولا يبصر غيرك فاعلم انه طامع ۝ وان اتاك بما ينفعك
ولا يبصر غيرك فاعلم انه ناصح فعول عليه واصغ له وكان يقال
ان لم تعرف ناصحك على نفسك كان ناصحك كمن يروم تقويم ظل عود قد نصب
معوجا قبل ان يقيم العود في منصبه ۝ وكان يقال اذا اردت ان تعلم ما يغلب
على الانسان من قوى الخير والشر فاستشره فما اشار به عليه اصح دلالة
وكان يقال شر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان المتعاطي بها المتخلقين به
شرا او بعرضه في مواسم الخزي وهذا كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل
يتعاطى العلم وكالفقير يتعاطى الغناء وكان يقال اذا احتجت الى المشاورة
في امر فشاور ذوي الحنكة والتجربة في طبقتك وذوي الصناعة ولا تعد ل
عنهم الى غيرهم ممن ليس من طبقتك فيخرجك عن حدك لانه خارج عن
عالم خصائصك واعلم انه قد جمعني واياكما مناسبة صناعة وهي
حفر الجحرة الا اني في علمها ارسخ منكما فانتقلا عن جحركما فانه بئس الجحر ومن
بئس الاوطان وانا ان تجد هذه الارض والخبير بها وقد قيل ان صاحبهما

فتحولا عن ذلك الجحر واطلبا مأوى سواه فخرجا من عند اليربوع نهاره وسحرا
منه وينسيانه إلى الأجر والخرف فرجعا إلى جحرهما فلبثا به مدة طويلة وو
فيه أولاد ثم إن الجرذ خرج يوما من الأيام فأوغل في تلك الأرض لبعض شأنه
ثم عاد فأصعد إلى الربوة وإذا السيل جرى في ذلك الوادي فأخذ بالربوة
وارتفع حتى صارت الربوة في مثل البحر العجاج فوقف على ضفة الوادي
ينظر متحسرا لفساد وطنه وهلاك إلفه وولده وذهاب ما أعد من
طعمه فرأى اليربوع قائما على الربوة آمنا فناداه اليربوع أيها الجرذ كيف
وجدت ثمرة إضاعة الحزم ومعصية الخبير الناصح قال الجرذ وجدتها
مرة فقال اليربوع للجرذ هون عليك وخفض من حزنك فإن النعمة في بقائك نفسك
تربي على المصيبة بأهلك وولدك فاقرن النعمة بالشكر يا ألفك فتستمتع بها وأنه
كان يقال الطير البر للثقة الصديق والكريم والنعمة وكان يقال الحر لا يمهله
إساءة من كان أحسن إليه عن شكر إحسانه السالف عنده وكان يقال إذا
أحسن إليك محسن ثم شكر لك فأصابك بإساءة فلا تنقبض عنه ودم على شكره

له وبرك به فإن ذلك أوجه شفيع لك عنده فقال الجرذ لليربوع ما كان أشفاك
أيها الحكيم بمعصيتك والبعد عنك وحق قيل للعاقل أن يصحب العلماء المهذبين
بالحكمة والأدب ولو كنت ذا خبرة لعلمت أنك أيها الحكيم لم تكلف نفسك صعود
هذه الربوة الكؤود وهبوطها على ضعف بدنك وكبر سنك إلا لأمر اقتضته
الحكمة وأوجبه الرأي المصيب ثم إن الجرذ ارتحل حتى ذهب السيل فصعد إلى
الربوة فاتخذ جحرا إلى جانب جحر اليربوع وأوطنه آمنا فهذا أيها الملك ما
أخبرني به مودي فقال الملك صدقت أيها الوزير الصالح فإنك لا تسدد
ناصحا وأصبت مبشرا وتلطفت مبلغا ودعوت سميعا فالتمس لنا ربوة نرضى
الاستقرار بها ونلزم أنفسنا الصبر على صعودها ونقصر فيها على مألوف لذاتها
وانبساطها في هذا العالم الخبيث البنا لعلنا نجتني السلامة التي اجتناها
اليربوع من سبل هذه الفتن فقال الوزير أيها الملك السعيد المقتدي
بالنفوس الزكية عشت عابد الليالي تعيش وما أملت ما تحب فقولك
ما تهدينا إليك عن نعماك بخلوه عليك من حالك أي عرف في ناحية من

مما لك بعقلا بطل بنيه على أهل الارض الطلال نحل على الكواكب تقابل دونك
الافكار المحدة والابصار الطامحة وهو مع ذلك ذو هواء عليل وماء سلسبيل
وحدائق باسقة ومرافق متناسقة وقد كان بعض سلف الملك السعيد عني به
بعض العناية فقطع عليه آماله الدثور الختم القاطع عقد الحياة فلما سمع
الملك ما دله عليه وزين له سرورا وذهب مبادرا من فوره في خاصته
وثقاته حتى الى ذلك الموضع الذي دله عليه الوزير فوجد في رابه عين افضل مما
صوره الوزير في نفسه ووجد به رسوما وبقية واثارا افنا اثرها بعض من تقدم
من ابائه فحشد اليه المهندسين والصناع والبانين وامرهم بالجد في اكماله ٦
وبادر الشاه من فوره ينقل اليه خاص بيوت امواله وخزائن سلاحه ونفائس
ذخائره وحشد رعيته لحمل الازواد الذي لم يعتبر طويل البقاء واعد لنزوله عدته
وهو مع ذلك يسد الثغور ويجند الاجناد ويشيد الحصون فلما مضت له ثلثة
اشهر من يوم كتبته جواسيسه بحركة المرزبان اليه انهم المرزبان بغوره
في الجيوش المتوافرة والعدة الكاملة وظهرت دعاة كبرى تلك الناحية

فيمن استفسدوه من الرعية فغلبوا على ما يليهم من البلاد واستعمل المرزبان ن
عليها عاملا من ثقات اصحابه ورتب فيها حماة من جنوده ومن اهلها ذوي
بطوي الارض المملكة طيبا فوافته جيوش المركز فدافعته بعض الدفاع ثم انهزم م
من كان في نفسه دغل فانهزم المناصحون بانهزامهم فاستولى المرزبان على عسكر
المركز واستبقى النفوس واخذ الاموال ثم جاوزهم بطوي الارض طيبا وكان
المركز عندما اقتحم المرزبان ثغوره قد بعث حشبه اهلها الى ذلك المعقل وجمع وجوه
ملطي حضرته فوعظهم وذكرهم ما سلف اليهم من احسانه وذكر ما بلغه عنهم
من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيء منهم فبرموا لما
قذفوا به عنده وحلفوا له على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم
الملك اني لم اجمعكم لهذا ولكن لتشتغلوا عن عدوي ولا مستبعد الظفر به
والنصر عليه ولا يعرض همه احد منكم غير انه اخبرني بعض وزرائي عن ملك من سلفنا
انه شرع في بناء معقل وعني به بعض العناية فحال بينه وبين ما اراده من ذلك
الاجل المحتوم على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه حذري قول الحكيم ان ابن

الملوك من ثم به سعي سلفه واعمهم من انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت ان اجعل
ذلك الحفر من عدتي وذخايري لقول الحكماء ان احزم الرعاة من اعد لقضا المصايب الحول
احكامها وقولهم يجب على العاقل ان لا يخلو من خمسة معاقل يتحصن فيها احدها
وزير صالح يتحصن برايه ○ والثاني سيف قاطع يتحصن به اذا عوتب ○ والثالث
فرس سابق يتحصن بظهره اذا الجاته النوايب ○ والرابع امراة جميلة تحصن بها
زوجته ○ والخامس قلعة منيعة يتحصن بها اذا احيط به فاتخذت هذا المعقل
لتكمل به حصوني وتعلق به ذخايري وما يكرم على من اراد منكم ان يتبوّا
في معقلي احد اباكرم فليفعل ولما فرغ من مخاطبتهم امرهم فخرجوا من عنده
فافتدى به من كان ذا عقل وحزم فجمع الى ذلك المعقل اهاليهم واموالهم واقواتهم
واما المرزبان فانه سار في تلك المملكة يطويها طي السجل لا يعارضه جيش الا هزمه
حتى اشرف على حصن الازكر فنزل على فرسخ منها وتهيب الاقدام عليها وقد
كان الازكر امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج الازكر في
اربعة الف فارس من عبيده وخاصته وثقات اصحابه فقام بهم في ناحية بمعزل

عن جوشه ورعيته بظاهر المدينة وتهيا للقتال ورتب صفوفه وكان في
المدينة داعيان من دعاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج الملك
عن المدينة وتظاهرا وتبعهما من كان اطاعهما فوثبوا على خليفة الازكر فقتلوه
واستولوا على المدينة وضبطوها وبينا الملك قايما في جنوده بظاهر المدينة
اتاه رئيس الزمازمة حاسرا حافيا يلطم وجهه وينتف شعره فامر الملك بحمله
على فيله واستخبره فاخبره بذهاب دار ملكه وفساد رعيته وخيانتهم فانحاز
الملك في خاصته ومن كان ذا بصيرة في طاعته وتوجهوا حامية نحو الحصن
وانتهى خبره الى المرزبان فجرد خيلا لاتباعه فادركوه فوقف بازايهم من كفا امرهم
وسار حتى دخل حصنه واما المرزبان فانه قصد المدينة فدخلها وضبطها
وملك اهلها واحكم امرها ثم سار بجيوشه الى ذلك الحصن فراى منظرا عجيبا
رايعا لم يمكنه النزول بالقرب منه فنكص الى حيث امن ونزل في جيوشه متحفظا
وكتب الى الملك كتابا يعني بالخاطبة فيه بالتعظيم والاجلال يعرض عليه خصالا
منها ان يرده الى مملكته مكرما على ان يدين بطاعة كسرى فلما اتى رسول

المرزبان الى الاركن جيبه ولم ياخذ كتابه وامن بالعود الى مرسله
فيئس المرزبان منه وكان يقال صرفك النصر الى عدوك اضاعة
واصغاوك السمع الى حديثه طاعه وكان يقال اذا امكنت
عدوك من اذنك فقد تعرضت الغرق في بحره والحصول في وهق
نحره ⊙ وكان يقال عجبا لمن يصغي الى عدوه سمعا ⊙ وهو لا يرجو
عنده نفعا ⊙ وكان يقال اذا عجزت عن التخلص عن كلام عدوك
فانت عن التخلص من كيده اعجز ⊙ ثم ان المرزبان عاد الى المدينه
وكتب الى كسرى بالفتح وبما تهيا له من الامور ⊙ فامره كسرى
ان يقيم بتلك المملكة ويترك التعرض لذلك الاركن في حصنه
الا ان يبدو منه امر فساد وان يذكي العيون عليه ويقيم المصالح
في جهات حصنه ⊙ ففعل المرزبان ما امره به كسرى ولبث بذلك
مدة وجعل اغنام الفرس يعبثون في تلك المملكة ويعاملون
اهلها بالفظاظة والغلظة التي طبع الهند على ضدها فذهبت
السمحا

٦٧ التحنا في النفوس وحاطت اهل تلك المملكه الغيرة لما راوا ان خراج
ارضهم يحمل الى غيرهم وينفق في غير اهلهم وعرفوا افضل ما كانوا فيه ومشقة
ما صاروا اليه فبسطوا السنتهم فخاف المرزبان ان يردعهم بالقول
فيستوحشوا منه فكف عنهم فكان ذلك داعية الى زيادتهم في بسط
الالسنه ⊙ وكان يقال الرعية تبعة لالسنتها فاذا قدرت على
ان تقول قدرت على ان تصول وكان يقال ترك نكير الصغاير مدعاة الى
الكباير فاول نشوز المراة كلمة سومحت عليها واول حران الدابه حيدة سومحت ن ⊙
عليها قيل واما الاركن الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور وزراه
فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذى وبسط العدل والاحسان وتامين
السبل واجارة المستجير وتالف المستوحش والاخذ بالفضل والعفو فاتخذ هذه
الخلال شعارا ودثارا فازدادت سمعته حسنا والقلوب اليه ميلا
والالسنه له شكرا واتفق ان عاملا للمرزبان على ثغر من تلك الثغور
اساء السيرة فقام اليه رجل كان افضل اهل عمله فوعظه ونصح له فكره

انتهى بعد ذلك فكتب الى المرزبان يزعم ان رجلا من اهل عمله يعارض امره
ومال العامة عليه فكتب المرزبان بامره بتوجيهه اليه مقيدا فاخذ
العامل الرجل فقيده وبعث به الى المرزبان مع رجال من الجنود فتبعهم
احداث من فتيان تلك الثغور وفتاكهم فقتلوا اولئك الموكلين بذلك الرجل
واطلقوه فاتى الرجل العامل فاخبره بما فعل اولئك الاحداث وانه عجز
عن دفعهم فامر به العامل فضرب عنقه وكان ذا منزلة عند اهل بلده
فوثبوا على العامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا رساتيقهم
وثغورهم وانضوى اليهم من كان على مثل رايهم ومن كان في غير حصن
وكانوا من بلدهم ما جاوزهم الى مثل صنيعه وطردوا عمالهم فانتقضت الطاعة
لكسرى في مواضع كثيرة في تلك المملكة في اسرع وقت ولما انتهى ذلك
الى المرزبان جمع جنده وضبط حضرته على حال ذعر وشدة خوف وكتب
الى كسرى يستمده وكان اهل حضرته لما خرج عنهم رئيس الزمازمة توجه
مع ملكهم الى حضرته قد نصبوا مكانه خليفة وكان مرضيا عندهم فلما
راى

راى ما فيه المرزبان من الذعر والتوقي وقصه من خالفه بالحجة والقوة
٦٢ دخل عليه المرزبان وقال له انى اريد ان اسالك عن شيء طننت علمه عندك
فقال المرزبان قل فقال رئيس الزمازمة بلغني مما اوصى به اردشير
بن بابك ملك بابل ابنه بهرام انه قال قد يصح الرعية بعنف السلامة الى
ما تريد من المعصية وانه قال في وصيته ينبغي السياسة لمن يغلب على
ملك وعصبه ربه ان يحفظ الصورة والشريطة التي يسلم عليها تلك
المملكة فانها محفوظة عليه وثابتة في عقد تسلم تلك المملكة منه وانها
ستخرج من يده بمثل ما صارت اليه وقيل ان هذه الوصية كانت مكتوبة
في مجلسه بازاء سريره وموضع قضائه ففهم المرزبان ما اراد الا انه احب
الوقوف على اخر ما عنده فقال له الامر على ما بلغك ايها الشيخ فقال
رئيس الزمازمة اذا كان الامر على ما بلغني فما لكم لم تستعمل الحكمة
التي علمت وعصيت في سياسة الرعية عنفا اخرجها ولعله ان يخرجها
ولم تخله خروج هذه المملكة من يديك بمثل ما صارت اليك فلما سمع
المرزبان

فقال له رئيس الرمانية استفرمه وهدده وكان شيخ ضعيف البدن كبير السن
فسقط الى الارض مغشيا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام فعظمت المصيبة
بموته وشان القالة وهيجت الشر من الشقاق بما كانت منقبضة عنه
وفشا ذلك في الرعية ونشوا اقاما فاستحجم المرزبان وجوه من بحضرته
فوعظهم وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العاقبة فارضوه بالسنتهم
وتسللوا عنه وغلظ امر اهل الاطراف المنتقضة وشغل عنهم المرزبان
بتحصين البيضة فبعثوا رسلا الى الازكن الذي كان ملكهم يسالونه الصفح
عنهم وان يبعث اليهم رجلا يتحيزون اليه فاعطاهم امانا عاما وانتحل
عليهم عاملا فالقوا اليه المقاليد واستبصروا في طاعته ونفحوا في
الذب عنه واضطر المرزبان الى ان يبعث اليه جيشا فبعث فعادوا منهز مين
مفلولين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه فحصن دار الملك واستخلف
عليها من ظن انه يضبطها وخرج متوجها الى عدوه فلما فصل عن المدينة
ذهب اهلها باصحابه فانتقموا منهم قتلا وتشريدا واحرزوا مدينتهم وبلغ ذلك
المرزبان

المرزبان فاستمر راجعا حتى جاء من تلك المملكة حتى قدم على كسرى طريدا
مفلولا وعاد الازكن الى دار ملكه فجرى على سنن العدل واخذ بالحزم
وقمع شهواته واستعمل الحكمة التي افادته التجارب اياها **روضة**
رابعة وباصفة بلغني ان امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال لجلسائه وهو محصور في الفتنة وددت ان رجلا صدوقا اخبرني
عن نفسي وعن هؤلاء يعني الذين حصروه فقام شاب من الانصار فقا ل
انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تطاطات لهم فركبوك وتخادعت لهم فسلبوك
وما جراهم على ظلمك الا افراط حلمك قال صدقت اجلس ثم قال له هل لك
علم بما تشب الفتن قال نعم يا امير المؤمنين سالت عن هذا شيخا من تنوخ كا ن
بائعة قد نقب في البلاد وعلم علما جما فقال ان الفتنة تثيرها امران احدهما
اثرة تضغن الخاصة والثاني حلم يجري العامة فقال عثمان رضي الله عنه فهل
سالته عما يخمدها قال نعم وقال ان الذي يخمد الفتن في ابتدائها استقالة
العثرة وتعميم الخاصة بالاثرة واذا استحكمت الفتنة فلا يسقطها الا الازم على الصبر

فقال عثمان رضي الله عنه حينئذ نهوذ ذلك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

تفسير الالفاظ التي اشتمل عليها هذا الخبر قوله باقعة اي داهية مجرب

ويقال فلان باقعة بقاع اذا طوف بقاع الارض واستفاد التجارب وقوله الاثرة

هي اختصاص بعض المستحقين للشي به دون بعض وقوله الحامه يعني الحاجه

وقوله التضغن اي تحقد والضغن الحقد وقوله الازم هو الصبر والحسر وحقيقه

الامساك على الشي بالاسنان • قال محمد عفا الله عنه هذا الحديث

ينحو الى ما ذكره الفرس ان يزدجرد بن بهرام سال حكيما من الفلاسفة ما

صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منها بغير عنف والتودد بالعدل ل

وأمن السبل وانصاف المظلوم • قال فما صلاح الملك قال وزراءه اذا اصلحوا

صلح قال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما

يثيرها وما يسكنها اذا ثارت قال يظهرها جرأة عامة وتولدها استخفاف خاصة

وتذكيها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامن معسر وغفلة

ملتذ ويقظة محروم فقال يزدجرد وما الذي يسكنها ايها الفاضل قال يسكنها

قال

قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما تخاف وايثار الجد حتى يلتذ

الهزل والعمل بالحزم والادراع للصبر والرضا عن القضاء • ٦٥

الباب الرابع في الرضى

قال • الله ربنا تقدس اسمه عائبا من خرج على حكمه وتدبيره وسخط •

قسمته وتقديره فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون

ثم نبههم على ما حرموه من فضيلة الرضى بقوله ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله

وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

ووصف صفوته من خلقه بالرضى فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومن ما

بينهما يعني رضي الله عنهم ورضاهم عنه ما روي ان موسى عليه السلام

قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحى الله عز وجل اليه انك

لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا الى الله سبحانه فاوحى الله عز وجل

اليه يا ابن عمران ان رضاي برضاك بقضاي • تفسير هذه الآية •

ومن ما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اسالك الرضى بعد القضاء •

قيل انما قال بعد القضا لان الرضا قبل القضاء انما هو عبارة عن العزم على الرضى
وتوطين النفس على الرضى بالقضاء اذا نزل وانما يتحقق الرضى بالقضاء بعد حصول
القضاء **خبر نبوي في مثل ذلك** من ما رويناه ان النبي صلى الله عليه وسلم ۝
لقي رجلا من اصحابه وقد اجهده المرض والحاجة فانكره النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له ما الذي بلغ بك ما ارى قال المرض والحاجة يا رسول الله فقال له افلا
اعلمك كلاما ان انت قلته اذهب الله به عنك فقال والذي بعثك ما احب بها
ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدرا والحديبية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاهل بدر والحديبية ما للقانع الراضي **منثور**
ومنظوم حكم في الرضى روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى ابي موسى الاشعري ۝ اما بعد فان الخير كله في الرضى فان استطعت
ان ترضى والا فاصبر ۝ اعلم رحمك الله ان الرضى مطارح الافراح
على العالم بالصلاح ۝ اذا كان القدر حقا كان سخطه حمقا من رضي حظي
ومن ترك الافراح افلح واستراح كن بالرضى عاملا قبل ان تكون له معمولا
ومن ال

ومن البعيد عادلا والاقرب نحوه معدولا ۝ وقيل للحسن البصري من
اين اتى الخلق فقال من قلة الرضى عن الله عز وجل فقيل له ومن اين قل رضاهم ۝
عن الله تعالى فقال من قلة المعرفة بالله عز وجل ومما قلته في الرضى ۝

يا مفزعي في ما يجي ۝ ومرجعي في ما مضى ۝
عني بما تقضيه ما يرضيه من حسن الرضى ۝
ومن القطيعة استعيد مصرحا ومعرضا ۝ ومن ذلك ۝
كن من تدبرك الحكيم علا وجل على وجل ۝
وارض القضا فانه حتم اجل وله اجل ۝ ومن ذلك ۝
يا من ترى حالي وان ليس لي في غير ما يرضيه اوطار ۝
وليس لي متعمد دونه ولا عليه لي انصار ۝
حاشا لذا الفضل والقران يهلك من انت له جار ۝
فان تساهلني فيا مرحبا بكرم يا نعمى وتجار ۝
كل عذاب منك مستعذب ما لم يكن فيه ذلك النار ۝



ومن ذلك ۞ اذا انا لم أدفع قضاً أكرهته بشيء سوى تخطيه ونبري
فصبري له من حسن معرفتي به كما ان رضواي به من تكرمي

٦ روضة رابعة وريانة فائقة قيل ان يزدجرد الاثيم بن سابور ذي الاكتاف
لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بقوة مولده وسعادة جده
ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وانه ينشأ بين أمة
ناشئة ذات همم عليّة وحلوم زكية ونفوس أبية وبهم يصير الملك اليه
فاجال يزدجرد فكره في خصائص الامم ومزاياها فرأى ان العرب أولى
الامم بتلك الاخلاق التي وصفها له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب
الى النعمان الاكبر بن امرئ القيس بن عدي بن نصر اللخمي فاستحضره واشخص اليه
جماعة وافرة من رؤساء العرب وسادتها فوصلهم وابرهم واخبرهم بما يريده
من تمليك النعمان عليهم فانعموا له بذلك فشرف المنذر وتوجه وملكه
على العرب وسلم اليه ابنه بهرام وامره بكفالته فاسترضع له النعمان اربع
نسوة صحيحات الجسوم ذكيات الفهوم سليمات الاعراق مرضيات الاخلاق
امرأتين

امرأتين من العرب وامرأتين من الفرس واجرى عليهن ما يصلحهن واتى ببهرام
الى بلاده فبنى له الخورنق لما اتفق من طيب هوائه وقصبة مائه فأرضع
المرضعات بهرام اربعة اعوام ثم فصلنه وقد كان غلاما ما جفر السرعة
شبابه ولما استكمل بهرام خمسة اعوام قال للنعمان انظر في تعليمي ما يحتاج
الملوك الى علمه فجرت بينهما في ذلك محاورة قد اودعتها كتابي المسمى بمرآة ۞
المتمن ابيا نجباء الابناء ۞ فكتب النعمان الى يزدجرد يسأله ان ينفذ اليه
رجالا من حكماء الفرس وفقهائهم ومعلمي كتابتهم فارسل اليه يزدجرد حاجته
منهم ثم ان النعمان ضم الى بهرام رجالا من علماء العرب وحكمائها ودهاتها
كانوا نابهين بالسياسة وخبيرين بكثير من اللغات وحفظ اخبار الملوك وسيرها
ومعرفة بأيام العرب وغيرها وكان شهما طبعا فأفاد بهرام كل واحد من معلميه
ما عنده من العلم فلما استكمل من السن اثنتي عشرة سنة فاق معلميه
كلهم واعترفوا بفضله عليهم واستغنائه عنهم فصرفهم النعمان مكرمين
وكره بهرام مفارقته طلبا لكونه يجد عنده من المحاسن والآداب السلطانية

والأخبار والدها ما لم يره مجتمعا في غيره واستعدى النعمن من يزدجرد
من يعلم ولده الرماية والفروسية وما يحتاج إليه المحارب فبعث إليهم
يزدجرد بمن أراد منهم فمكثوا عند النعمان ثلاث سنين فاستفاد جميع
ما عندهم من ذلك وصرفهم مكرمين وامسك جلسا ليشغفه به
فلما استوفى من السن خمس عشرة سنة استأذن النعمان الملك يزدجرد
في القدوم عليه بولده فأذن له في ذلك فوفد النعمان على يزدجرد بابنه بهرام
وأوفد معه رؤسا العرب وزعماها واحسن يزدجرد وفادتهم وأجزل
صلة النعمان وضاعف تشريفه وسرحه وامسك ابنه بهرام عنده
واحتبس بهرام جلسا لعلوق نفسه به وكان يزدجرد فظا غليظ الطبع
عبوسا شديد الكبر غليظ الحجاب مجترئا على سفك الدماء واغتصاب
الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام بالقسوة التي طبع عليها وانقصه
وكده واستعمله على شرابه فتبرم بهرام بما ناله من أبيه وعيل صبره
وضاق ذرعه فشكا ذلك إلى جلس فرق جلس لشكواه ثم أقبل عليه
فقال له ما

فقال له ما معناه جلا الله كربك واعلا كعبك واطاب ذكرك في قلوب
الامم وافواهها وكتب لعزك ملوك العرب والعجم جباهها ان أولى
الناس بمحاسن النصيحة من كان معروفا بها ومندوبا لها ومدعوا إليها
ومخصوصا عليه وانه كان يقال النصيحة بشعة المبادي حلوة العواقب
فهي كالأدوية يسوء استعمالها ويسر مآلها ويدوم عنها ويمنح عنها وكان يقال
الامين يصحب الملك بالتقرب على الحرمة والمبالغة على النصيحة والخائن
يصحب الملك بحسن المداراة وافراط التذلل وكان يقال إنما ينتفع النصحاء
بالملك إذا كان مؤيدا بفضيلة العقل وإن لم يكن كذلك شقي به النصحا
وسعد به ذو الملق وهذا لأن الناصح يتفوق على من نصح له من عقله
وما العقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللوم ان يضن بالنصح عن سمح لك
بالثقة وان يستر الصواب عن هتك لك حجاب ستره وكان يقال أولى العقلا
النصحا بقبول النصح منه وأقبال لك عليه من كانت سعادته شرطا في سعادته
وعلة لها ومن كنت منه بهذه المنزلة فسعيه لك سعي لنفسه وذبه

عنك ذنب عنها ثم قال حلس لبهرام انه قد ساءني ثم ان الملك وضجره لما لقي
من خليه مع ابنيه الملك وانا اشير على ابن الملك باظهار المسرة بما اظهره
التبرم والضجر اذا كان الملك قد استعمله على عمل الاب للعامل فيه من
اظهار البشر والطلاقة وان من عجب الملوك بما لا يوافقها ان يكون عليه
بالعطية ولا ينبغي مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن خلافه فان الرياء
ينصل عن الطبع نصول الخضاب عن الشعر ولان ابنا من ابن الملك العقبية
التي كرهها بين الجدل ظهر له حسنها وذلك ان الملك اسند اليه شرابه
الذي هو جامع لذته وجالب طربه ومسرته وراحة نفسه من نصب الملك
ومشقته ووكل اليه مع هذا حراسة مهجته ودرصنيه يحفظها في
مجالس خلوته ووثوق كاتبه في صون شرابه من بليته وآفة يدسها
اعداؤه ومرحمة الشراب او خلل يدخله على غفلة السكر والاضطراب وليعلم
ان يعدل عن ولد الحبيب النجيب بهذا العمل العلي قدره العظيم خطره كيف يصطفي
نفس الولد الفاضل ان يرى لها مساوقا هذا العمل الى سواه وليعرف بر الملك وكرمه الى

ما ذكرته

69

ما ذكرته ليكون ما يظهره من الغبطة من هذه الخطة راجعا الى عقد يوافقه
معنى يطابقه ولا يخاف من ذلك بما ينمي رفضه وتبرم منه بما يبعث نقضه
فيتم عليه بما اسره توسم لا يبطه وتكهن الافكار فانه كان يقال الرياء سراب يخدع
الفطن القاصرة ولا يخفى عن النظار الباصرة وكان يقال انما يبسط سلطان ن
الرياء على السمع والبصر اللذين يدركان الشهادة دون الغيب فاما العقل فلا
ينبسط سلطان الرياء عليه لان الاول الآخر قد كاشف ما كمن من الغيب لا
خصائصه اياه ثم قال حلس وقد فطن الدب على بلادته لرياء القرد فقال بهرام اخبرني
عن ذلك فقال حلس ذكروا ان دبا كان يسرح في غيضة ذات اشجار مثمرة وكان
في تلك الغيضة قرود وكان الدب يرى فوق القرود على في الشجر والنظر ف
لاغصانها وتمكنها بذلك من اجتناء اطايب الثمرات فحدث نفسه بان يصيد
قردا منها [illegible] ان يجتني له الثمر فصعد شجرة والقى نفسه منها والقردة
تنظر اليه وجعل يتصور ويتخبط ويلاطم [illegible] ويتحنن ويفتح فمه واخفى نفسه
واجتمع القردة لرؤيته فقال لهم حازم منها انه لا يبعد ان يكون هذا الدب

منتصبا خادعا وان الحزم ان تجتنبه وتحذر منه فان لم يكن بد من الدنو اليه فهلم
نجمع حطبا ونذره حوله ونضرم فيه نارا فان كان متصنعا افتضح وان كان متنبئا لم
ضرر علينا في احراقه وانه كان يقال عدوك لضدك وحكم الضد بين التنائي والتنا بن
والتدابر وكان يقال لا انتظار ضدا وطيها لعدوك الا على تزيد في احتراس وتوقي افتراس
ولا يغرك خروجه منها وبعده عنها فربما نصب فيها شباكا ونصب لك بها اشراكا
وكان يقال لا تعش عدوك الا متسلحا متحرزا متحفظا ولا يغرك منه امن لانه لا لعار
السلاح فما كل سلاح يدرك بالبصر وقد غر الراهب اللص بمثل ذلك لما علته
ما اراد فقالت القردة اخبرنا عن ذلك فقال ذكروا ان راهبا كان في احد من
الرهبان وكان متبتلا في قلاية له بظاهر اللاذقية وكان شيخا فانيا قد كبر
العبادة وكان النصارى يخصونه بالصدقات فيقبلها ويعطيها اهل الفاقة زهده
في الدنيا وان لصا من اللصوص راى كثرة ما يخص به ذلك الراهب من الصدقات
فحدث نفسه بان يبيت عليه قلايته وظن انه سيصيب عنده كثيرا فاخذ ليلة
من الليالي حتى تسور القلاية وحصل مع الراهب في بيت تعبده فوجده قائما يصلي
والسراج

والسراج يزهر في البيت فصاح اللص بالراهب استسلم ايها الشيخ قبل ان
القي عنك راسك فالتفت الراهب فراى اللص واذا هو شاب شديد
البنية وفي يده سيف مصلت فعلم انه لا قبل له به فقطع صلاته وفر من يدي
اللص الى ناحية من البيت في حائطها طاق فادخل الراهب راسه من الطاق ورد
يديه الى خلفه كما يصنع بالمكتوف فلما راى اللص ان الراهب قد استسلم وخبا
راسه القى سيفه ووثب نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط
في دهليز القلاية سقوطا اوهنه فمكث على حالته لا يجد محيصا عن الموضع الذي
حصل فيه حتى اصبح فدل الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ في
دون الطاق نقبا وجعل عليه طبقا ينقلب ولا يثبت اذا اعتمد عليه وغطاه
ببعض فرش البيت فلما فر الى الطاق هاربا بين يدي اللص خطر في ذلك الموضع
وتخطاه الى ما فوق موضعه فلم يضع رجله على الطبق واللص لم يعرف ذلك
ولا استعمل الحزم بالحفظ بل عول على ما ظهر له من استسلام الراهب ولم يدر
انه قد اعد له سلاحا لا يدركه البصر فلما سمعت القردة المثل الذي ضربه لها حاز
مهما توقف

عن الاقدام على الدب واستمر يجمع الحطب لاحراقه فاتى غر من القردة لم يكن حاضر
ذلك الموضع ولا سمع مقالة الحازم فدنا من الدب واصغى باذنه الى انف الدب
ليستمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى غصن من غصون الخيزران فربط
طرفه في وسط القرد وكلفه ان يصعد الشجر فيجتني له اطايب الثمر ويلقيه اليه
والدب ممسك الطرف الاخر من الخيزران فلبث القرد بذلك بقية يومه ثم انصرف
به الدب الى غار فادخله فيه وسد بابه عليه بصخرة فلما اصبح عاد الى القرد
فاخرجه من الغار وانطلق به الى الغيضة يجتني له الثمر عامة نهاره ثم راح به
الى الغار فسجنه فيه فلبث بذلك مدة والدب قد بلغ مناه والقرد باسوء
حال واعظم مشقة يبطل نهاره في خدمة الدب ويبيت ليلته في سجنه وكا ن
يقال من تعرض لما لا يعنيه تورط في ما يعنيه وكان يقال شهوة العاقل
من وراء فكرته فاذا انبعثت له شهوة وزنها بفكرته فعرف مباديها وعوا قبها
وتدبرها بحكم الراي وفكرة الاحمق من وراء شهوته كلما انبعثت له
مرت بادرة لوجهها لا يبصر بها شي وكان يقال انما كان يسير المونه المحتمله للعد انا ثم لان

لان الارواح تتحمل من الالام اضعاف ما تحمل الابدان فيصبر الادمي بها اعواما وليس
كذلك المون المتحمله للحبيب لان الارواح تتلذذ بها وتحكم الابدان لها قبل ان
القرد تفكر في حاله فخطر له ان نصيحته في خدمة الدب تمنعه من الخلاص
منه فندم على نصحه في خدمته وعلم انه لن ينجيه منه الا الحيلة فاطا لت
فكرته في ذلك الى ان اتجه له وجه الحيلة فيه وكان يقال اذا كان المملوك
مبرا من الشهوة بليد الفكرة رذل الهمة فهو سلم لمالكه وان لم يكن بهذه الصفا ت
فان له فيه شريكا هو املك به من سيده وذلك انه اذا كان متحرك
الشهوة كان منقادا لطاعتها واذا صحت فكرته اعملها في طلب الراحة من
النصب والخلاص من الاسر واقامة الحجج في الدفع عن نفسه واذا اسمت همته
اتسم بالغضب والانفة والحقد وتدبر ما يستدل به ما يريد سيده قبل وكان مما احتج
القرد عليه من الخديعة للدب ان تظاهر بضعف البصر فكان يلقي الى الدب
الثمر الاخضر فيه فزجره الدب عن صنيعه فلم ينزجر وضربه فلم يرتدع فلما
طال عصيانه عليه قال له اني قد سئمت من زجرك وضربك وقد حدثتني نفسي

بأهلك لانه لم يتولى بيتك متسع وكان يقال اذا لم تجد عن الخدمة الا من ساءك أدبه
فاستخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يجلب على قلبك من المشقة اضعاف ما يجلب
على بدنك فقال له القرد اني اشفق على ما تصفني به من سوء الادب ولو قيل لي
لست مثل خادم الطحان حين قتل حماره فقال له الدب لخبرني عن ذلك فقال حكي ان
طحانا كان له حمار يطحن به وكانت له زوجة سوء يحبها وهي تحب جارا لها وذلك
الجار الذي تحبه يبغضها ويمتنع منها فأرى الطحان في منامه قائلا يقول له
احفر كذا من دار الطاحونة تجد كنزا فحدث امرأته برؤياه وامرها بكتمانها وكان
يقال من زعم انه يجد احدا في افشاء سره الغيرة فاتهم عقله لان …
الاستبداد بالسر وترك المشاركة فيه اثقل من مشقة الحذر من انتشاره …
المشاركة فيه وكان يقال امران يسلبان الحر جمال الحرية وهما قبول … وافشاء السر
وشرح هذا ان من قبلت برّه فقد اوجبت على نفسك الخضوع … الاحسان
يرق الانسان وكذلك من اطلعته على سرك فان حذرك من افشائه …
التعبد له وكان يقال المرأة موكلة لبيت نعمة وطعام ترمه ووالدته …

تدبيره وشيئ تسكنه وتنبره ممن اشركها في امره واطلعها على سره فقد اتى النجى
بحالهما اذ ليس في فواها الا التنافق بعالمه قيل فلما حدث الطحان امرأته برؤياه
اخبرت جارها الذي تهواه وتقربت بها من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا
ليتعاونا على حفره وفعلا ذلك فوجدا الكنز واستخرجاه فقال الجار للمرأة لها كيف
نصنع بهذا المال فقالت المرأة نقسمه نصفين بالسواء فينطلق كل واحد منا
بنصفه الى منزله وتفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق زوجي ثم تتزوجني
فاذا اجتمعنا على النكاح جمعنا المال فكان بايدينا فقال لها جارها انا اخاف
ان يطغيك الغنى فتستبدلي غيري وانه كان يقال الذهب في المنزل كالشمس في
العالم وكان يقال من بلغ من اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه وكان يقال لا تسمح
لولدك ولا تزد اهل بلدك ولا خادمك بما فوق الكفاية فان طاعتهم لك بقدر حاجتهم
اليك ثم قال لها فالرأي ان يكون جملة المال عندي لتحرصي على التخلص من زوجك
والمجيء الي فقالت له المرأة اني اخاف منك مثل الذي خفت مني ولست مسلمة
اليك حظي من هذا المال فلا تحسدني على حظي منه وقد لزتك بالدلالة

عليه وانه كان يقال انما كان العدل والانصاف مشكورا عليهما لفساد الزمان
لان الشكر انما يجب لمن تفضل فخوله واما من اعطى الحق اهله فهو محمود لا مشكور
فلما سمع مقالتها دعاه البغي والشره والحذر من نميمتها عليه الى قتلها فقتلها والقاها
في موضع الكنز وبغته الصبح فاعجله عن تواريها فاحتمل المال وخرج ودخل
الطحان على اثره فربط حماره في المدار وصاح به فمشى خطوات ثم اعترض الحفر
والعيل بين يديه في مداره فوقف فضربه الطحان ضربا شديدا والحمار يتوقى
ولا يمكنه التقدم والطحان لا يدري ما بين يدي الحمار فاخذ سكينا ونخسه
نخسات كثيرة ثم استشاط غضبه وطعنه بها على خاصرته فمرق فيه
السكين وسقط ميتا ولما انتشر الضوء راى الطحان الحفر ووجد امراته فيه ٩
قتيلا فاستخرجها فراى اثار الكنز فاشتد اسفه على ذهاب الكنز وهلاك
المراة والحمار فقتل نفسه فلما سمع الدب مقالة القرد [illegible] في بهما
ضرب بمعنى المثل غدر الحمار وما غدرك انت فقال له القرد ان بصري ضعيف
واخاف ان يذهب بالجملة فان رايت ان تنظر في صلاحه فذلك بيدك
فقال له الدب

فقال له الدب ومن لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال القرد ان الاطباء
كثيرة ولكن العاقل لا يسترسل لاحد من لم يكن من عالمه وان للقردة بهذه
الارض طبيبا تصفه بحذاقة الطب والزهد في متاع الدنيا واني لارجو
العافية من علاجه واستلوح الفرج من لقائه فاجابه الدب الى ما اراد فقصد
به القرد قردا كان موصوفا بالخبث والدهاء فلما بلغا اليه فر من الدب
فصعد شجرة وقام الدب تحتها فقص عليه علة علته ورغب اليه في مداواته
فقال له القرد الخبيث دعه يطلع حتى انظر الى عينيه فاوحى له في الحزانه
فصعد فجعل يتامل عينيه ويسأله عن ضره فقص عليه خبره مع الدب
وسأله ان يفتح له باب الحيلة في الخلاص من يده فقال له القرد الخبيث اني
ساحمله على السم فاحتل لنفسك بانتهاز الفرصة اذا نام وكن على حذر
من انتباهه ولتكن ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث على الدب فقال له
انه ينبغي ان اعرفك دواء عينيك هذا قبل ان ادلك على دوائه اذ يستحيل العلم بالدواء
من الجاهل بالداء فاعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت همومها وتوقدت فطنتها

وفهومها لابنها وفرت على السهر دواعيها وجعلت الليل لها حظا من مساعيها
وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الثمار وتسلب الاعمار وكان يقال من لزم الرقاد
حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في حد الجود سماحة النفس بالنفس
ولو صح هذا لكان اجود الاجواد من كثر نومه لانه سمح بحياته التي لا احد لها
كفوا ولا يصيب منها عوضا ثم قال القرد الخبيث للدب انك لما اخرجت
عبدك هذا عما اعتاده ادخلت عليه الفساد كما صنع بالطاير الذي صيد
لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال القرد ذكر ان ملكا من ملوك
اليونانيين كانت له ابنة تكرم عليه جدا فهاجت بها المرة السودا وادخلت
عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر الى الامتناع من الغذا والدواء فاشار
طبيبها بان تنقل الى ارتفاع تشرف منه على بستان مونق وماء جاري
ففعل ذلك بها فاتفق في ذلك اليوم الذي نقلت فيه الى ذلك العلو طايرا فيه
من كل لون فنزل على دالية فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع
من النغم المطربة فارتاحت الجارية لما رات وسمعت من الطاير واستدعت الغذا
وكان

وكان يقال افضل النغم المطربة ما سمع من الصور الحسنة لانه يحرك الشهوة والطرب
وسطام القوتان ويشعلان فعل الادوية المركبة فانها انجع من الادوية المفردة
واشد فعلا بالبدن ثم ان ذلك الطاير اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك
فظهر على ابنة الملك القلق لغيبته ولما كان الغد عاود الطاير الدالية
في مثل وقته بالامس فسرت ابنة الملك بعودته فاستبشرت وارتاحت
واكلت وشربت وانصرف الطاير في يومه كما انصرف في امسه ثم عاودها
القلق لغيبته وبلغ الملك خبرها في ذلك فامر باصطياد ذلك الطاير
فاصطيد وجعل في قفص واتحف ابنته به فاشتد سرورها واغتذت
وتداوت ورأى الطبيب انتعاش قواها فعالجها وطمع في سلامتها ولم
يعلم بامرها مع الطاير وان ذلك الطاير لبث عندها اياما لا يصوت ولا يطعم
شيا واضر حبسه في القفص فعادت الجارية الى اسوا حالها وجعلت تذوب
لما لها لاهتمامها بامر الطاير مضافا الى مرضها وعلم بذلك ابوها فندم على
اصطياد الطاير وكان يقال لا يكن المرء مبادرا الى الاجوبة عن المسايل

عن المسائل قبل أن يتدبرها ويتفكر فيها ويتفرغ عنها ويعدل الدفع ما يمكن أن
يعترض به على جوابه ويكرمه خصيصة من المناقضة لأصوله كما أن الملك لا يشبه
الغمر الذي لا يتجاوز مبادي الآراء إلى عواقبها ولكن يتلمذ لمن يتفكر في الأواخر
قبل أن يجيب عن الأوائل كما تشاور الحنك المتدبر لبطون الأمور وظهورها
المطلع على مباديها وعواقبها ٭ قيل فلما علم الطبيب ما انتقلت حال الجارية
من الفساد علم أن ذلك لعارض طرأ عليها فبحث عنه فاطلع على قصتها مع
الطائر فأشار بأن ينصب شباك محيطة بالبستان علوا وسفلا فصنع ذلك على
ما أشار به ثم أطلق الطائر في البستان فلما رجع الطائر إلى ما اعتاده وألفه
راجعته صحتها وحسنها وعاوده تغريده فصلحت بذلك حال الجارية ونفث
من مرضها ٭ قيل فلما قضى المثل قال له الدب قد سمعت مقالتك ووعيت جل بثك
فأمرني بما فيه مصلحة عندي هذا الطائر أمرك فقال له القرد إني لآمرك بما حرك في
مسرحك من الليل فإن ذلك زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك وبهجا البساطك
بسباطك
مضاعفا اللذة منا مأمولا وتساعفا بصلحة غلامك فشكره الدب على نصحه
وانطلق

وانطلق بعده إلى مسرحه فاجتنى له نهاره ذلك أخبث الثمر فلما جاء الليل أظهر
القرد نشاطا وفرحا واجتنى في أضعاف ما اجتناه ثمرات طيبة فلبث بذلك
صدرا من الساعات ثم انكفأ به الدب إلى المغارة فسجنه بها وغدا عليه لعادته
ولبث القرد أياما ما ينبطا هو فيها إذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب أطايب
الثمر على حال الفرح والتبسم تسكن نفسه إلى الثقة بالقرد بل سكن عليه أنه
مرائي متصنع خادع وكلما تزيد القرد من تصنعه تزيد الدب من الريبة به وأنه
ليلة من الليالي أراد الانصراف إلى مأواه فجعل القرد يماطله ويقول هاهنا ثمرات
طيبات فأخذ الدب لما طبع عليه من الشره والنهمة وكانت ليلة مقمرة فحدث الدب
نفسه بأن يناوم ليختبر القرد ويمتحن طويته به فتناوم وجعل يغط فما درى القرد
أن وثب هاربا وجذبه الدب بالخيزرانة جذبة شديدة فانقطع ظهره وهلك
قيل ولما بلغ جلس عابد هذا المثل الذي ضربه له بهرام أمسك عن القول فقال له
بهرام ما أبهجني بقربك وأفرعني بما تفيد لي من حلمك وتقربه لي من أمثالك
وتحلوه علي من ملحك وأني معشر البلدية ولك الدولة لأجعلنك أول داخل علي

وآخر خارج عني وسار وض نفسي باداتك هذه مستعينا بالله سبحانه فسجد جلس ودعا
له بنجح الامل ثم ان بهرام جور شهر والده ليلة من الليالي سروره وقد نضد النوار بين يديه
فكان مثل الزرابي المحملة والتيجان المرصعة فتذكر بهرام ايامه عند النعمن وانتجاعه
الرياض الانيقة وشربه فيها على الازاهير المطلولة الى ما كان يتنعم به من مباكرة
الوحوش في مغانيها ومرادها والتفكه في طرادها واصطيادها فاطرق واستولى
عليه الفكرة وعلس وتنفس الصعدا وابوه يزدجرد يسارقه النظر ثم انه اسفا ق
نظر الى ابيه وعلم انه كان بمرأى منه فاسقط في يده ولم ينص الا ساعة حتى نهض الملك
بشره ونكس راسه فنهض كل من حضره من ندمايه وسماره وكانت تلك عادة
ملوك الفرس اذا علس الملك منهم او اطرق لم يبق بحضرته احد الا استوى على حالتهم
على حال الخشية والسكون وكان لبزرجمهر مضحك لطيف اللسان لطيف الفطنة
حسن الانتزاع حيث النديم يهمه الا ذي بحضرة ذلك المقام وفطن للامر الذي
شكر له الملك فان ذلك لما كان من عبوس والده واطراقه في مجلس المسرة تحدث
ذلك المضحك نفسه ان يحتسن الى بهرام ويصطنع عنده يدا فيحتال له بحيلة يخلصه

يخلصه بها من غضب الملك وبينما هو يناجي نفسه بالحيلة في ذلك رفع
الملك راسه الى المضحك ونظر اليه كانه يحركه على ان يصنع شيئا فيه سلوة
له فسجد المضحك ثم جثا على ركبتيه ثم قال ان العبد الذليل يستأذن الملك في
ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر اليه بهرام كالآذن له فقال المضحك ان
العبد كان في حداثة سنه كلفا بالنساء مفرط الشوق اليهن الا انه كان ملولا
لا يثبت على محبة من احب منهن وكان كلما استحسن امرأة هام بها وتهالك
في حبها وكان يقال من اتبع لحظه هواه أدحضه وأهواه ⊙ وكان يقال
كن من عينك على حذر فرب جموح جني جناه جموح عين وكان يقال ما احوج الملو ⊙ ك
ان يحوم المأمول ⊙ وكان يقال السامة من اخلاق العامة لا من اخلاق السامة
وكان يقال التنقل من قلة الى حيلة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال المضحك
ان العبد دخل بلاد السند وبينما هو يطوف بعض مدنهم رأى امرأة
لم ير قبلها مثلها في حسن الصورة وامتداد القامة ورشاقة الحركات ولطا تة
الاشارات وسحر الطرف ومالوف الظرف فتبعها العبد وهو لا يدري موطئ قد ميه

من الدهش حتى بلغت منزلها فدخلت ولزم العبد باب منزلها ليلا ونهارا فارسلت
اليه تستعفيه من لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فشكا العبد الى رسولها
ما يلقاه من الشغف واعلم الرسول انه لا معدل له عن بابها وانه مستميت في
طلابها فلهيت عن العبد مدة ثم عادت الرسول اليه فرد العبد لها مثل كلامه
الاول فارسلت الى العبد تقول له انني اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك لاسرعت
الى مساعدتك واني متزوجتك بشرط الوفاء فان غدرت بي اهلكتك بعد ان
انكل بك نكالا يضرب به المثل فان التزمت هذا الشرط والا فانج بنفسك قبل
ان يتعذر عليك الخلاص ⊙ وكان يقال اربعة ترتفع الرحمة عنهم اذا
نزل بهم المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من دائه ⊙ ومن تعاطى ما لا
يشتغل بعابه ⊙ ومن بذر ماله في لذاته ⊙ ومن قدم على ما حذر من
افاته وكان يقال من اوضح وبين فقد نصح وزين ⊙ ومن حذر وبصر فقد اعذر
قال المصنف فالتزم العبد الشرط واعطى من نفسه المواثيق على الوفاء
فتزوج العبد المراة وبلغ منها امنيته ولبث معها مدة فراى نهارا ترتب لها

فلمحها

فلمحها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها العبد الى منزلها وجعل
يراسلها ويلازم بابها فتبرمت به وشكته الى امراته فعاتبته امراته على
ذلك وزجرته واذكرته العهود ونهته وازداد لجاجا فلما رات ذلك منه
سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه وجعلت تستخدمه في كل مهنة
فما شغله ما هو فيه عن ان هوى امة سوداء فجعل يتبعها في تصرفها ويتعلق
بها ويتودد لها فلما كثر ذلك على الامة شكته الى امراته التي سحرته وكان يقال
انما كان طبع المطبوع املك به من ادب المودب لان الطبع اصلي وثمرة القوى
الناشية معه فهو املك بالنفس التي هي محله لاستيطانه اياها وكثرة اعوانه
بها والادب طارى على المحل غريب به وكان يقال اضل المودبين سعيا من رام
من المتادب ان يعاونه على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولى به واقرب اليه
وانزع عنه من مودبه لكن المودب الماهر من طلب المتادب بستر اللوم
من طباعه وتعميته والتورية عنه قال المصنف فلما بلغ امر العبد الى ما
كان منه اشتد غضبها عليه ثم سحرته فصار حمارا فجعلت تركبه فيما تستعمله

في أشق الأعمال ويستعمله في أثقل الأحمال ولبث بذلك مدة طويلة ولم تشغله
ما هو فيه من البلاء عن أن هوي أتانًا فاشتد شغفه بها وكان يقلقله هواها
وطلبها أشد الطلب وردعها بالضرب فيلقى من ذلك بلاءً شديدًا واتفق أن أغراه
العبد التي سحرته زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في علو أشرفت منه
على ما حوله وكان العبد في ذلك اليوم قد استأجره شيخ ضعيف البدن كبير السن
فحمل عليه أواني فخار في جوالقين ومر به على قصر ابنة الملك فرأى عند القصر تلك
الأتان التي هواها فما ملك نفسه أن نهق وقصدها وفعل ما تفعل الحمير عند
مثل ذلك وجعل الناس يضربونه من كل جانب والفخار يتساقط عن ظهره
والشيخ صاحب الفخار يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان والسفلة
يعطعطون من كل جهة والأتان فارة من بين يديه تزمحه وهو يطلبها على تلك
الحال فرأت ابنة الملك ذلك كله فأعجبها وأضحكها فقالت لها امرأة العبد التي
سحرته يا ابنة الملك ألا أخبرك بأعجب مما رأيتي من هذا الحمار قالت لها بلى
فافعلي فقالت إنه زوجي وقصت عليها خبر العبد فاشتد تعجبها مما سمعته

وسرت

وسرت به ثم سألتها أن تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فأجابتها إلى ذلك وأ بطلت
السحر عن العبد فعاد بشرًا سويًا ولم يكن له همّ إلا الفرار من بلاد السند فلما
أنهى المضحك من حديثه إلى هذا الموضع سكت وقد كان الملك يزدجرد اشتد
ضحكه لما سمعه من حديث المضحك ولما شاهده من حركاته في وقت حديثه فلما
سكن ضحكه وعاود الوقار والأبهة أقبل على المضحك وقد أكبر له فقال ويحك
ما حملك أن تكذب هذه الكذبة الشنعاء كأنك ما علمت ما لخطر الكذب على
رعيتنا ونعاقبها عليه وقد قالت الحكماء الكذب كالسموم التي تقتل إذا استعملت
مفردة وقد تدخل في تراكيب الأدوية فينتفع بها فلا ينبغي للملك أن يطلق
الكذب إلا لمن يستعملها في المصالح الكذب في كيد الأعداء وفي تألف البعداء
كما لا ينبغي أن يطلق تلك السموم التي ذكرناها إلا للمأمونين عليها الما بعين
لها من المفسدين فقال المضحك أيها الملك السعيد إن هذا مثل نضربه من الحكم
ما يعود بمصلحة المرء ناضرة والتجلي على ذكرها أمر يلزم ستره عن الملك
فأشار الملك إلى جلسائه فقاموا عن مجلسه ثم قال للمضحك هات ما عندك

فقال المضحاك ان عبد الملك يخبره ان ولده الفاضل بهرام عاشق فقال الملك لمن
فقال لابنة الاصبهبذ فقال الملك لقد كان من بهرام في هذه الليلة ما بدا لي على
صدقك ولا لوم علي ولدنا في ذلك اذ لم يضع من نفسه محبة ابنة حافظ ملكنا
وسيد لعو لبابنا وسيبلغ ولدنا امنيته بحسن البكر بالطلاعنا على امره
فاكتم ذلك حتى ينفذ امرنا فيه ثم ان يزدجرد اذن لولده ولندمائه بسماره
ومطربيه فعادوا الى مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الى يزدجرد
سروره وطربه الى ان انقضى مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحاك بهرام
واخبره بالخبر على وجهه فشكره بهرام ووصله ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام
بنت الاصبهبذ ولم يزل بهرام يروض نفسه على الرضى بخدمة ابيه حتى انقادت لما
اراد منها فلبث بذلك الى ان قدم اخ لقيصر على يزدجرد ساعيا في الصلح والهدنة
والموادعة فاكرمه يزدجرد فضله وعرف له فضيلته واحسن نزله فلما راى بهرام
نزله اخي قيصر عند يزدجرد استشفع به عنده في رده الى النعمان فشفعه
واذن لبهرام فتحول الى بلاد العرب وكان فيها على ما احب الى ان هلك ابوه وورث ملكه
قال محم

قال ⊙ محمد عفا الله عنه هذه خاتمة سلوانة الرضى ● وقد عن لنا ان
نذكر ما نختم به نحبتها وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وما احدث
رعيته بعده وكيفية مصير الملك الى ابنه بهرام وذلك فيما ذكر المعتنو ن
باخبار ملوك الفرس ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل
عن مناهج سلفه من العدل والرافة اجتمع وجوه رعيته من ذوي
الصلاح عندهم فدعوا الله تعالى على يزدجرد وسالوه معا فانهم منه
نرحم الله ضراعتهم واستجاب دعاهم وبينما يزدجرد جالس في منتزه له
دخل عليه خاصته فاخبره ان فرسا متوحشا عريا حتى قام بباب الملك ان
الناس يهبونه فلم يجسر احد على ان يدنو منه وان الخيل قد نافرته فلم تقدم
عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما
عاينه ولى اعجابا به ودنا منه فخضع له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته
ووجهه ونفض بناصيته وامر باسراجه والجامه فالجم واسرج فقال
ان يزدجرد استدبر الفرس ومسح كفله فرمحه الفرس رمحة خر منها ميتا وولى

وملأ الفرس فرحه عدوا فاعرف الجان تزوجه ويقال بل ركبه يزدجرد
وحركه فسبق الابصار حتى اتى البحر فاقتحم به فيه والله اعلم اي ذلك كان ولما
الفرس ان الله سبحانه قد اراحهم منه اجتمعوا على ان يخرجوا الملك عن ولد
يزدجرد وقالوا منه ان يسن فيهم بسنة ابيه فملكوا رجلا من ابناء ملوكهم
السالفة يقال له كسرى وكان مرضيا عندهم فمحا ما شرعه يزدجرد من الظلم و عفي
الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة رأيهم في تمليكه وانتهى الخبر الى النعمان
فاطلع عليه بهرام واخبره انه عضده وناصره وباذل نفسه وماله في مرضاته
فشكر له بهرام وامره بشن الغارات على اطراف بلاد الفرس مع الاعراب فسفك الدما
فامر النعمان العرب بفعل ذلك ففعلوه فاشتد ضررهم وارسلوا الى النعمان يستعفوه
ويسألونه العود الى الاحسان الى المجاورة فلما انتهى الرسول الى النعمان قال لهم اما الكلام
الملك بهرام افعل ما امرني به فاذهبوا اليه فذهبوا اليه فلما عاينوه ملأ عيونهم
جلاله وصدوره جلاله فخروا له ساجدين وسألوه العفو والصفح فاحسن خطابهم
وبسط آمالهم وامرهم ان يبلغوا من وراءهم انه حسن الرأي فيهم معتمل لاصلاح
حالهم

حالهم وانه متوجه اليهم لينزلوا اخبارهم عن نفسه واقام الحجة عليهم فلبثوا بعد
لذلك ثم صرف الرسل مكرمين وامر النعمان فكتب له عشرة آلاف في كل كتيبة الف فارس
من اجناد العرب ثم سار بهم وسار النعمان بين يديه في جيش كثيف فلم يكن عند الفرس
لهم مدفع حتى انتهوا الى دار المملكة فنزلوا بظاهرها فخرج اليه زعما الفرس وحفظة
دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس عليه وقام النعمان بين يديه وتقدم اليه القوم
فسجدوا له وقاموا بين يديه فاذن لهم في الكلام فتكلم رئيس الموابذة فحمد الله وذكر
رأفته بخلقه ثم ذكر ما سار به يزدجرد من الجور وما فعل الله به ثم اتبع ذلك
بذكر كراهة الفرس لملك من ولد يزدجرد فلا ينحوه من سلوكه سبيل والده ولا سيما
وقد يشابه الاعراب الذين يصلحون جيوشهم باطراف الارض وسأله ان يعفي الفرس
مما كرهوه فانهم لا يملكونه طائعين ولا يقصرون في دفاعه عن ذلك بكل ما امكنهم فلما
قضى رئيس الموابذة كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده وصدق
رئيس الموابذة فيما نسب اليه يزدجرد من الجور والعسف ثم اتبع ذلك بذكر ما يتما ه
من مصير الملك اليه لئلا يسوم الجور ويشيد قواعد الحق ويديم الرعية من خلاله

ورأفته وإحسانه أضعاف ما أذاقهم أبوه من غلظته وآثامه ثم أعلمهم أنه لا يترك
تراث أبيه ولا يألو الجهد من تحصيله وأنه مع ذلك يدعوهم إلى أن يضعوا تاج الملك
وزينته بين أسدين ضاريين بحضرتهم هو وكسرى المتغلب على ملكه فمن أخذ التاج والزينة
من بين الأسدين فهو بالملك أولى وذكر لهم أنه إنما يفعل ذلك رأفة برعيته وصونا
لهم عن مقاومته ودفاعه وثقة بنصر الله وعونه لما يعلمه من حسن نيته
وخلاص نيته ورغبته في إصلاح الأرض وأهلها فرضي زعماء الفرس بما بذله لهم
من نفسه ورجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تنالهم في دفعه عنهم فعملوا
عنه متعجبين من جماله وكماله وفصاحته وإبانته ثم عمدوا إلى أسدين ضاريين
فجوعوهما وأخرجوهما إلى ظاهر المدينة في قفصين من حديد في عنق كل واحد منهما
سلسلة في طرفها وتد من الحديد فضربوا الوتد في جهتين مختلفتين وجعلوا
بينهما بقدر ما إذا خرج كل واحد من الأسدين يقصد الآخر بلغ إليه وجعلوا
تاج الملك والزينة بينهما وحيث يمكن كل واحد من الأسدين الوصول إليهما والت
عنهما وفتحوا القفصين عن الأسدين فخرجا وقد اجتمعت أمة عظيمة من الفرس
واجتمع

واجتمع العرب فقاموا إزاءهم فخرج بهرام من قبته وقد شد وسطه بمنطقة وجمع
ذيوله إليها فقام بإزاء الأسدين بين الصفوف ونادى كسرى اخرج أيها المتوثب
في ملكنا المتغلب على تراث آبائنا فخذ تاج الملك الذي انتزعته من أهله
فأجابه كسرى إنك أولى بالتقدم إلى ما أعطيته من نفسك لأنك الداعي إليه
المتفرد به ثم إنك المتطلب للملك بوراثته وأنا غاصب فدنا بهرام من الأسدين
ولا سلاح معه فلما رأى عظماء الفرس [illegible] أن بهرام قد عزم على فعل ما بذل من نفسه
ناداه يا بهرام إنك مستميت ولا إثم علينا فيك فقال بهرام أجل إنما جعلت ذلك على نفسي
للعزم أنبئكم ولا بد من فعله ⊙ فقال له موبذان إن كنت فاعلا فتب إلى الله
بقولك وتب إليه واستعنه فذكر بهرام ذنوبه وتاب إلى الله منها وسأله العون ن
ثم دنا من أحد الأسدين فقصده الأسد فلما قاربه راغ عنه بهرام روغة ثم
وثب من الأرض فإذا هو على ظهر الأسد فضم الأسد بفخذيه ضمة تبلد لها الأسد
وفرج بين قوائمه وثبت مكانه لهيبته وقصد الأسد الآخر فاستقبله حتى ألصق
رأسه برأس الأسد الذي تحته فلم تمكنه السلسلة من زيادة التقدم فقبض

بهرام على اذنيه وجعل يضرب براسه راس الاسد الذي تحته حتى سقطا جميعا
ميتين فقام بهرام قايما قدميه وحمد الله على صونه وعونه وازال ذلوله من
مطقته وتناول تاج الملك ووضعه على راسه وناداه كسرى الذي كان الفرس
ملكوه ليهن بهرام الملك بن الملك ما اعطاه الله من ميراث سلفه فكلنا له
سامع ومطيع ثم ارتفعت اصوات الفرس بالدعاء له وتقدم اليه موبذ موبذ
فاخذ بيده فاجلسه على سرير ملكه وشد عليه زينة الملك وباله بالكلا
وتتابع زعما الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل المدينة ونزل بقصر ابيه وفرق
الاموال في ذوي الحاجات واهل النجدة وجبا المدن وشرفه واجاز العرب
الذين صحبوه فاقرهم على اقرانهم ثم انه وفى لرعيته بمواعيد عدله واحسانه
ولم يزل محمود ايامه حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارا عجيبة اودعناها
خبر بادر بن كابانا المسمى انبا نجبا الاخبار ۝ وبعد فسلك الحمد بما هو اهله

البيانانه الحاجبية وهي تلوانه الزهد

قال ۝ اقمه ربنا تقدس اسمه مخاطبا اصلح من استخلفه في ارضه واعلم من

كلف

كلفه ما يرتضيه الذي كان عاضده على ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه
ويخفيه ۝ لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة
الدنيا لنفتنهم فيه ۝ هذا بعد ان خيره من ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار فقد الملك على غنى الملك ۝ قال له جبريل حين اختار
يابن التي هلتي نبوة في حال عبديه تحوي بها المقدم المعلا غدا
اكمال عليك بحر العدي بن يديه صعقا سجدا ۝ فلخار مالحظى به اجلا

خبر نبوي في زهد الملوك

من حديث بن مسعود رحمه الله قال
ان ملكا كان قبلكم بينا هو في ملكه اذ ادركه الخوف يريد الخوف من الله سبحانه فال
ترك ملكه وخرج حتى اتى النيل وكان على شاطيه يضرب اللبن يعني الطوب
ويقتات من ذلك فسمع الملك الذي كان في ارضه بخبره فارسل يقول له كن بمكانك
حتى الحق بك فترك الاخر ملكه ثم لحق به وكان امرهما واحدا الى ان هلكا قال
عبد الله بن مسعود فلو كنت بمصر لاريتكم قبرهما بما نعته لنا رسول الله صلى
عليه وسلم ۝

منثور ومنظوم من الحكم الزهدية

روي ان سليمن بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حين اعجبه ما
صار اليه من الملك يا عمر كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المومنين هذا سرور لولا انه
غرور ◊ ونعيم لولا انه عديم ◊ وملك لولا انه هالك ◊ وفرح لو لم يعقبه
ترح ◊ ولذات لو لم يقترن بآفات ◊ وكرامة لو صحبتها سلامة ◊ فبكى سليمن
حتى اخضلت لحيته دموعه ◊ ومما قلت في ذلك

يا متعبا كده الحرص في الفضول وكاده ◊ لو حزت ما حاز كسرى وما حوى وأباده
ما كنت الا معنى ومغرما بالزياده ◊ لم يصف في الارض عيش الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفسا فانما الحر عاده ◊ حذار حذار من دار هي شر دار حرامها
سم نافع وعذاب واقع ◊ وحلالها نصب متتابع ◊ وامل واسع ◊
دنياك دار غرور ومتعة مستعاره ◊ ودار كسر وكسب ومغنم وتجاره
ورأس مالك نفس فاحذر عليها الخساره ◊ ولا تبعها بأكل وطيب عرف وشاره
فليس ملك حثيث لا يبقى بشراره ◊ ومن قصيدة لي في مثل ذلك
انما لداري محاربها حجرها الا في موادعها ◊ وتستفز الحليم عن سنن الفضه وعلى مخادعها

من رام

من رام انقاذها عليه فقد حاول ما ليس في طبائعها ◊ اسرع ما تستحي بوائقها يوما
فتنة عليها وارفا بنفسك عن طلابها واقعا بابعها ◊ واتق عصابة الغرور
عمري لهذا الذي نتنفده ما فيه نفحها لسامعها ◊ مودتها مودية لساعة
فالحمد والله من محا بعها صميمه ازهده في مطامعها ◊ ومن ذلك

اعد الزهد انما الزهد رفض لفضول تلهي وتطغي وتردي ◊
لم لا يمكن الزهادة في المقسوم منه فابل في ضروب التعدي ◊
مرحبا بالكفاف عفوا فما ثم لا مرحبا بحرص وكد ◊
ما علمنا وقد رأينا كثيرا وسمعنا من كان حد المجدي ◊
لا يزال الحريص يستنامه الحرص بنصب من الشقاء ونكد ◊

قيل ارخت بنت النعمن بن المنذر استاذنت بالقادسية على سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه فاذن لها فدخلت في جواريها وعليهن المسوح
ومقطعات الثياب السود فرأى منظرا شنيعا ولم تتميز له حرقة من جواريها
للمشاكلة ايا من حال الزي وكره واهب تسلم عليه فقال ايكن الحرقة فقالت انا الحرقة

ما أنا ذه فقال انت حرقة فقالت نعم فما تكرارك استفهامي إنها الأمس ان الدنيا
دار فجيعة وزوال فما تدوم على حال تنتقل بأهلها انتقالا وتعقبهم حالا بعد حالا
وانا دنا ملوك هذه الأرض يجبى الينا خراجها ويطيعنا أهلها زمن المدة وزمان
الدولة فلما أدبر الأمر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملأنا وكذا
الدهر يا سعد ما من يوم الحقهم بحبرة الا ادفهم بعبرة ولا اسعفهم بفرحة
الا عقبهم بترحة ثم انشدت

بينا نسوس الناس والامر امرنا ... اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما الحرقة تخاطب سعدا رضي الله عنه دخل عمرو بن معدي كرب
ض الزبيدي على سعد فنظر الى الحرقة فقال لها انت حرقة التي كانت تفرش لك الاد
من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي قالت نعم قال لها عمرو فما الذي
دهمك واذهب محمودات شيمك وغور ينابيع نعمتك وقطع سطوات نقمتك
فقالت يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك وتخفض ذا الرفعة
وتذل

فتذل ذا المنعة وان هذا امر كنا ننتظره فلما حل لم ننكره ثم ان سعدا سألها
عما قصدت له فاستوصلته فاجزل صلتها وقضى حوائجها ولما فصلت عنه
سئلت ماذا لقيت منه فانشدت

صان لي ديني وأكرم وجهي ... انما يكرم الكريم الكريم

روضة رائقة ورياضة فائقة قال محمد عفا الله عنه

قد ذكرنا شاء الله تعالى من زهد الملوك ما يناسب الخبر النبوي الذي قدمنا ه
آنفا وهو زهدهم في الملك مع بذلهم له وحلمهم منه ولا نعرض لذكر من زهد
في نعيم الملك ولم ينتزه لاستقلاله باعباء سياسة الخلق بالحق واعباء الزهادة ده
والعبادة ذلك هذا او داود وسليمن في النبيين عليهم السلام وكابي بكر وعمر
في الخلفاء المهديين فان زهد الفن يخرج عن هذا التبويب ولا يندرج في
هذا الاساليب والله المستعان فمن ذلك ما بلغني ان معوية بن يزيد بن مع
رحمه الله كان على صغر سنه كان عاقلا عالما نبيلا مستقلا مدللا نفسه بالدم
وعرف اعز زينة الدنيا افضت الخلافة اليه وسنه سبع عشرة سنة

ثم عاود الندم على خلعها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه ولبثوا عشرين ليلة يتناظرونه
فيه ويثنونه عن اظهار كراهيته فلما راوا انه غير منثن وانه لا بد له من خلع
نفسه دعوه الى ان يعهد الى احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها واتقلد
تبعة عهدها ولو كنت مؤثرا بها احدا لآثرت بها نفسي ثم انه خطب للناس فذكر
لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد اليهم ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته
وانصرف واغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث بعد ذلك خمسا وعشرين ليلة
ثم لحق بالله سبحانه • وقال علي بن الجهم في ذلك من ارجوزة له •
ثم ابنه معاوية المستضعف كانت له دين وعقل يعرف •
ودام شهرا ثم نصف شهر وجاءه الموت عن بعد الامر •
قال محمد كلام علي بن الجهم هذا يقتضي ان معاوية مات ولم يخلع نفسه والمعروف
ما ذكرته وانما قال معاوية لان الناس استضعفوه لتركه الخلافة ولذلك كنوه
بابي ليلى وهي كنية المستضعف • وبلغني ان السبب الباعث له على الزهد
في الخلافة ان البشير لها اتاه وعنده جاريتان له يتلاعبان وكانت احداهما بارعة الجمال
فقالت

فقالت الاخرى لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت لها الحسنى واي ملك
يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك فهو الملك حقا فقالت لها
الاخرى واي خير في الملك وصاحبه اما قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه
فذلك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش واما منقاد لشهواته
مؤثر للذاته مضيع للحقوق مضرب عن الشكر فمصيره الى النار فوقعت
الكلمة في نفس معاوية موقعا مؤثرا وحملته على الانخلاع من الامرة

روضة رائقة ورياضة فائقة قيل كان عدي بن زيد العبادي
التميمي قد دخل ارض الروم رسولا لملك الفرس واقتبس من علومهم ومن
الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس وكان كاتبا له وترجمانا وكان ابوه زيد واليا
على الحيرة وخليفة للمنذر بن ماء السماء وكان عدي بن زيد عند ملوك الحيرة
من اجل ما ذكرناه في اعلى المراتب فلو احضر يوما عند النعمان بن المنذر
بن امرئ القيس عامل ملك الحيرة وهو ملك الخورنق والخورنق قصر قد تقدم منا ذكره فاشرف
النعمان على ما حول الخورنق وذلك في فصل الربيع فتامل مليا ثم اقبل على عدي

بزيديه فقال يا عدي اكل ما ارى الى نفاد وزوال فقال عدي قد علم الملك ان الامر
على ما ذكره فقال النعمن واي خير فيما يفنى ويبيد ثم قال الى البنت وتنصر وزهد
وساح في الارض ۞ وقيل بل كان معجبا بالزهر المسمى شقايق النعمان
واليه ينسب لانه كان يتبع رياضه ويحميه وانه قصد يوما من ايام
الربيع سماء شقيقة قد كساها ذلك النور والشقيقة رمله مستطيله
فلما عاين تصعد ذلك النور في منابته وفنون حمرته وخضرة سوقه وتموجه
بهبوب النسيم وتناثر قطر الندى من اكمامه راى منظرا عجيبا فامر فبسط
له بازاء ذلك الشقيق بساط موشي من الحرير فكانما ذلك روضه مختلفه
باصناف الزهر ونصب عليه قبة من الديباج الاحمر وقد [illegible] القواعد
والحنايا والنمارق المساند بما يضاهيها ويجانسها ولبس من الحرير المصبوغ
بالبهرمان وهو العصفر افضل ما يمكنه وجلس في قبته تلك متواجها للشقيق
وحوله نداماؤه ولهوه وعنده عدي بن زيد فشرب وطرب ودبت فيه
الراح وارتاح ثم اقبل على جلسائه بما ذكرناه انفا فلما سمع عدي مقالته

فرصة

فرصة موعظته بما حكيناه وازمع الزيادة في ايقاظه من غفلته فامهله
حتى انقضى اربه من مجلسه وركب وسايره على الجانب ثم انتهوا الى مقابر الحيرة
فقال عدي للنعمن ابيت اللعن ايها الملك اتدري ما تقول هذه القبور قال لا
قال عدي انها تقول ۞ ايها الركب المخبون على الارض المجدون كما انتم كنا وكما
فلما سمع النعمن مقالته راجعته فكرته السالفه وظهر عليه الانكسار
ثم مروا بشجرات منسا وحان نهر واحه فيها عين جارية فقال عدي للنعمن
ابيت اللعن اتدري ما تقول هذه الشجرات فقال لا فقال عدي انها تقول
نحن كنا فليحذر نفسه انه موف على قرب الزوال ۞ وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي
رب ركب قد اناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال ۞ والاباريق عليها فدم وعتاق الخيل
عمروا دهرا بعيش حسن امنى في سرهم غير عجال ۞ ثم اضحوا عصف الدهر بهم وكذاك
وكذاك الدهر يردي بالفتى في طلاب العيش حالا بعد حال ۞ وقيل ان ذلك
تمثل بها في موطن اخر وانه اشار بقوله هذا الى قبور كما اشار به او اقبل فلما
بلغ النعمن قصده قال لعدي اذا كان السحر فاحضر وان عبتني خبرا لطلعك عليه

كما تكونون

حالا بعد حال ... الدهر يردي بالرجال

فلما كان السحر حضر عدي فوجد النعمن قد لبس مسحا وقد اخذ اهبته للسياحة
فودعه وذهب ولم يعلم له خبر وعندي ان الذاهب السايح هو النعمن بن المنذر
الاكبر ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره • والذي ادرك النعمن
بن المنذر الاصغر فنبهه بما حكي عنه شبيها اقتضى تنصره لا سياحته بل هو
الذي قتل عديا وبقي في ملكه الى ان قتله كسرى والله اعلم اي ذلك كان وبالجملة
فنحو ذلك قال عدي بن زيد

أيها الشامت المعير بالدهر أأنت المبرأ الموفور • أم لديك العهد الوثيق من الايام ام
من رايت المنون خلدن ام من ذا عليه من ان يضام خفير • أين كسرى كسرى انوشروان ام اين قبله
وبنو الاصفر الملوك ملوك الروم لم يبق منهم مذكور • واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور • لم يهبه ريب المنون وباد الملك فبابه
وتذكر رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير • سره ملكه وما يملك والبحر معرضا
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حي الى الممات • ثم بعد العلاء والملك والامة واراهم هناك
ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور روضة رايقة ورياضة فايقة

حكي ان ملكا من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات فاتته قيمة
ملابسه بثيابه فلبسها فناولته المراه فنظر فيها فراى شيبة في لحيته فقال
يا ت المقراض يا جارية فاتته به فقص الشيبة فتناولتها الجارية وكانت
لبيبة اديبة فوضعتها في كفها واصغت اليها اذنها ساعة والملك ينظر اليها
فقال لها ما تصنعين فقالت استمع الى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها
بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك فاقصاها فقال لها الملك فما الذي
سمعت من قولها فقالت زعم قلبي انه سمعها تقول كلاما لا يجترئ لساني على النطق
به لاتقاء سطوة الملك فقال لها الملك قولي على حال الامنة وعدم توقع ما
لزمت اسلوب الحكمة فقالت انها تقول ايها الملك المسلط الى امد فاصبر
اني قد كنت طمنت بك البطش بي والاعداء علي فلم اظهر على سطح جسدك
حتى يضعف وخفيت بنفسي حتى افرخن وعهدت الى بناتي في الاخذ بثاري
عهدا واتي بترجن فجعلن لاخذ ثاري منك اما باستيصالك واما
بتنغيص لذاتك وتخويف قوتك حتى يعد الهلاك راحة فقال لها الملك اكتبي

كلامك هذا كتبته له فتصفحه مرارًا ثم نهض مبادرًا وأتى هيكلًا من الهياكل
التي يعظمونها فنزع عنه ملابس الملك وتزيّا بزي نساك الهيكل وبلغ ذلك أهل
مملكته فبادروا إليه وطالبوه بالعود إلى محل ملكه وتدبيره فامتنع عليهم
وسألهم إقالته وتمليك غيره فامتنعوا عليه وشنوا إنكاره فاصطلحوا بينهم النساك
على أن يتركوه في ذلك الهيكل يتعبد ربه ويستكفي لمن الساك في مثله من
أمور رعيته وفي غير ذلك بنفسه فلبث على ذلك إلى أن هلك. روضة
رايقة ورياضة فايقة بلغني أن ملكًا من ملوك الفرس
كان كافرًا شديد العتو والكبر حديث السن مستحكم الغرة وكان إذا ركب المسطع
أحدًا رفع صوته الأمام الثناء عليه والمدح له والشكر لإحسانه وكان له وزير
نصراني يكتم إيمانه ويحين وقتًا يمكنه فيه دعوة ذلك الملك إلى الله سبحانه وتعالى
فركب الملك يومًا فسمع شيخًا قد رفع صوته لبعض شأنه فقال للشرط خذوه
فلما أخذه الشيخ قال الله ربي فقال الوزير للشرط خلوا عنه فخلوا عنه
فاشتد غضب الملك على وزيره ولم يمكنه الإنكار عليه في ذلك المقام لئلا
يظهر

يظهر الناس أن الوزير يخالفه فيما يأمره به وسكت ليوهم الناس أن الوزير
إنما أمر بما أراده الملك فلما انصرف الملك إلى مستقره أحضر الوزير فقال له ما
دعاك إلى ما فعلت من أمري بشيء من عندي فقال الوزير إن لم يعجل الملك
أريته وجه نصحي وإشفاقي وحوطتي عليه بما أتيته فقال له الملك أرني
ذلك فإني لا أعجل عليك فقال الوزير أن يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون ن
بحيث يرى ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم إن الوزير أحضر قوسًا صنعها
للملك بعض خدمته وكتب الصانع اسم نفسه عليها فأتى ولها غلامًا لحضرته
وقال للغلام إني محضر صانع هذا القوس فإذا حضر وأقبلت عليه بالمحادثة
فاقرأ الاسم الذي على القوس جهرًا حتى يعلم أن صانعها قد سمع ثم اكسرها
بحضرة القواس وفعل الغلام ما أمره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك
صانعها أن ضرب الغلام فشجه فقال الوزير ويحك تضرب غلامي بحضرتي فقال
القواس القوس عليها اسمي أيها الوزير وهي في غاية [illegible] الجودة لأي
يكسرها فقال له الوزير لعله لم يعلم أنها عملك فقال بلى لقد أخبرته القوس

بأنما عملي فقال له الوزير وكيف تخبره القوس فقال هذا خطي بيد الملك عليها وعد قراه
وانا اسمعه فصرف الوزير القوس ثم اقبل على الملك فقال له قد اربت الملك نوجه
نعجي له واشفا في علته بما كان مني ان الملك لما اراد ان يبسطوا على الشيخ
اخبره الشيخ ان الله ربه تخفف على الملك ان يبطش به الشيخ ولبس يقوم
لبطشه شي فقال الملك للوزير وهل للشيخ رب غيري فقال الوزير الم يره الملك
شيخا والملك شابا فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك
لا بل كان ابو الملك ربه فقال الوزير ما بال المربوب يفنى بعد هلاك ربه فقال
الملك للوزير لقد وقعت في كدي بغير حالة ولقد علمنا الان انه يجب ان
ان يكون المالك والمملوك رب لا يزول فهل نعرفه فتدلني عليه فقال الوزير
نعم اني اعرفه فقال الملك دلني عليه اكن لك تبعا ما بقيت فقال الوزير
اما دلالتك عليه فاول ما يجب لك علي واما انا على باب فلان فعلته فانما
تبع عبدك الذي بعث بحثه ما ربيت ثم ان الوزير تلطف في دلالته على
الله سبحانه وشرح الله سبحانه صدر الملك لقبول ذلك وامن بالله سبحانه
ثم

ثم قال الوزير اما الرتبة خدمة اذا احسنتها عبد تحظى بذلك عنده ه
فقال الوزير بلى ان له وظايف عباده امرها خلقه ورضي لهم بفعلها ووعد هم
عليها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلاة والصيام وغير ذلك من
شرايع المسيح عليه السلام فجعل الملك يتاضر بها حتى يخ في علمها ويمدد
على العمل بها ثم انه قال للوزير ما لك لا تدعوا الناس الى الله كما دعوتني
فقال ما معناه ايها الملك ان الان امة ذات قلوب قاسية وهموم قصية
ونفوس عصية ولسنا امنهم على دمي ان ادعوهم لذلك فقال الملك اني
فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال له الوزير ليعلم الملك انهم ان لم تردهم هيبته
عنه لم تردهم عنه وساجعل نفسي وقا لنفسه وانهم سيقتلونه لا محالة
فلا تجري الملك عليهم مثلها بعدي ثم ان الوزير استند على الجدار ووجوه
المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها واهل النسك والعلم منها فلما
اجتمعوا اليه في داره قام فيهم خطيبا بالدعوة الى الله سبحانه فقاموا
اليه فقتلوه ثم صاروا الى الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم وقالوا له

إنما المثال أن الملك على مثل رأيه وحب لما عنده فأرضاهم بالقول وأدهن لهم وصوّب
رأيهم في قتل الوزير فانصرفوا راضين عنه وقتل ما لبث ذلك الملك أن بتر ملكه
وحق الرهبان وكان معهم إلى أن توفاه الله عز وجل ۝ روضة
رائقة ورياضة فائقة قيل إن أزدشير بن بابك بن ساسان ولد
له في حداثة سنه وبدء أمره ولد فسماه بابك باسم أبيه فشار أبع الصورة بارع
الخلق فشغف به أزدشير حبا وألزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا
في الحكمة متحليا بالزهادة وسألوه الوزير أن يحمل ولدا فأقطعه الفيلسوف
عن أبويه وولي تربيته وتدريجه إلى أن اضطلع بأعباء علوم الفلسفة وتبوأ
مثوى الزهد ولما سعى أزدشير على ضم كلمة الفرس فتم له المراد وأعطاه ملوك
الطوائف القياد واستمر رأي ولده بابك فيما نابه من المهمات وظفر منه بأضعاف
أمنيته إلا أنه كان لا يشاهده ولا يكاشفه إلا بغض إليه الدنيا تصغيرا
لمعاليها وتعريفا بشؤونها وتخويفا من آفاتها وكان أزدشير مستشعر الإبية
بولده لأجل ذلك وكان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا ينكر هونه
وكان يقال

وكان يقال قل ما يتوفر فكر الملك على أمر واحد حتى تطول عنايته به على
انفراده وذلك لكثرة ما يحادث خواطره من الأمور حتى إذا توفر فكره على أمر
واجتمع أو شك أن يحكمه فإذا رأيته قد اجتمع الأمر وتوفر عليه فلا تعرض له بغيره
فتحول بينه وبين الفرصة التي يقبل ظفره بها ۝ قيل وكان أزدشير متحمل
ذلك الملك شغفا به وثاقا له واتفاقا عليه فقال له يوما يا بابك أتعرف أباك
فقال بابك أنى لي إنهما الملك السعيد أبوين ۝ أبا كان علة كوني ۝ وأبا كان علة
يعني أباه
بقاء وأنا بهما عارف ۝ فقال أزدشير صف لنا أباك الذي كان علة كونك
يعني مربيه
فقال بابك ما معناه أنه ملك تملأ العيون بهاء والأسماع ثناء والصدور هيبة
والقلوب محبة ۝ ذو رأفة شاملة وقضية فاضلة ۝ وسيرة عادلة رحم
أخاف قلوب المذنبين من أجسادها وسيوفهم من أغمادها وآمن الغرهين من
السباع الضارية ۝ والأفاعي الجارية ۝ فالأشباح من سيفه وحرمه
والأرواح رأي لنفسه وحكمه فقال أزدشير لابنه بابك صف لنا أباك الذي كان علة
بقائك فقال بابك ما معناه أنه حكيم عن فضيلة نفسه فكرمها وعني بالحد منها

يصف له تواضع الحكيم الذي علمه الزهد والحكمة

فقال ازدشير اخبرنا عن كيفية خدمته لنفسه فقال ملك ما معناه انه تأمل
نفسه فرآها ارضا اريضة انيقة بكل خير طفيفة ذات مياه نابعة واشجار دانية
واثمار يانعة وظلال ظليل ونسيم عليل الا انه الفاها مأوى لجنود الغضب
وغور الجهل وذباب الغدر وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع الحمق وحيات
الظلم وعقارب الحسد فنفى عنها هذه الآفات كلها وحصنها منها فصارت
خيرا محيطا لا شر فيه فلما سمع ازدشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد
فيه نابذ له فساءه ذلك ثم اقبل عليه فقال له يا بني ان الحكمة لا ترضى لمن اتصف بها
ان يكون مقهورا مع تمكنه ان يكون قاهرا فقال يا ابت ما اجدر الملك السعيد
بالصدق واحراه بالاجابة ولكن ان اذن لي الملك السعيد ضربت له مثل الرب القاهر
والمربوب المقهور فقال ازدشير هات ما عندك من ذلك فقال الملك ذكر ان فيلا كان
تحكما عند بعض الملوك وكان نبيلا انيسا اديبا وانه صيد للملك [illegible] فيل وحشي آخر
فعسر على السواس رياضته وتعذر عليهم تأنيسه فرأوا ان يجعلوا مع ذلك
اي المطلف — اي الطاعة
الفيل الانيس الاديب ليأنس به ويقتبس من ادبه ففعلوا ذلك به فازداد الا نفارا

معهورا

الفيل ... الوحش

وتوحشا

الفيل المربي متوحش

وتوحشا فبالغ السواس في عقوبته والتضييق عليه والتجويع له فقال منه
لحمد ان الفيل الربيب قال له يوما لقد جنيت على نفسك شرا واسأت النظر لها
بجهلك ولو علمت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت ولكنه كان يقال العز
باب يحجب الالباب عن صوب الصواب ⊙ وكان يقال الجاهل ميت الاحياء وذلك
لتهوره وفساد تصوره ⊙ وكان يقال لا تنتج كرامة غير بالها كما لا تنتج كرمة
غير خاطرتها فقال الفيل الوحشي للربيب ما الذي يراد بي فقال الربيب علفك ويستعذب
موردك ويبسط سماطك ويوكل بك خدمة يكلؤونك ويراعون شؤونك ويجعل
لبروزك اوقات معلومة ينتظرها حشد الناس لها فتحلى بالديباج وتعرض
بين يديك الآن تنتج الطرب وتسعى الى الاحتفال ثم تكرم كما معظما لانقاضك
دابه ولا يهب عليك الهون بابه ⊙ فقال الوحشي للربيب لا تخير في ما ذكرت
لي نزع عن توحشه ونفاره وتأتى لما يراد منه وكرم ونعم وخدم وعظم ولما
انظر اليوم الى نبه تولج في خدمته ويتطير به وجلل بالديباج وشد على ظهره
سرير من صعد عليه المقاتلة عليهم الدروع والخوذ وبايديهم عدد

وركب على عنقه دارع بيده كلاليب والسيف فطسته الزرد وشد على
طرفيها قائم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه من عن يمين وشمال وبايديهم
عمد الحديد عليهم الدروع ومر بين يديه الطبول والصنوج وسار على تلك
الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد الى مأواه قال لذلك الفيل الرهيب قد هيبت
خيفة كل ما حدث عنه ورايت زيادات احببت ان اسالك عنها قال ما
هي قال ما كانت تلك الاثقال التي حمل ظهري فقال الدب اولئك المقاتلة على
سرير ومعهم الالات للقتال فاما ذلك الذي شد به فطستي والذي
صُبّ على طرفيها وما اراد القابضان على نابي والراكب على عنقي فقال له الدب
اما الذي شد به فطستك فدرع حصنها لانها مقتل واما الذي ربط
اليها فسيف تضرب به في العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذودان
عنك الاعداء ويقيانك على الاقدام واما الراكب على عنقك فمهديك الوجه
الذي اريد منك سلوكه قال الفيل الان اتى الامر الذي حلو واستعمل [illegible]
وكلمه بحجة ومسكني وتوه باسمي وجعل لبسي واني لا ارى امر الا يوم خيره

بشره

بشره ولا يبغي نعمه بضره وتعبد فلا تكونن من احرص الحراص على التماس الاشر
وانه كان يقال ليس احرم من انقاد للذاته وخدم سوى ذاته وكان يقال من
عني بغير نفسه فقد بسط عليها ضرره واستنبط لها ضره وكان
يقال اذا كانت الحاجة تستعبد المحتاج لمن احتاج اليه بقدر حاجته
فالناس عبيد الدنيا واعبدهم لها احوجهم اليها وكان يقال اذا كانت العبودية
كناية عن حرمة المعبود والحاجة اليه فاعبد العبيد الملك والمحب
والمنعم عليه لاستيلاء العبودية على ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد
الثلثة وذلك ان الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره في تدبيرها وتاديبها
وصونها من عدوها وعونها على مصالحها وردع ظالمها ونصرة مظلومها
وتامين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما يبعثها الحروب ما يحميها
في الحروب وجباية فضول اموالها وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب
تحاسدها وان لحمه على فتنة [illegible] فاصلحه الملك الى غير [illegible] في
صون نفسه وسنته امره وانقاص [illegible] وادفاع عدوه فلما سمع الفيل ذلك

مقالة الوحشي يعني انه ابلى منها الغرة والدهور وفساد النفوس وقال
بخبر وقالت الحكماء الجهل يحجب العيان ويعلل الحيان وقال الاخر المحطم خوا
ما الخام والاعجاب لحطبه واذا العجب عجيب ثم قال الوحشي اني اكافيك
عن نصحك اياي وسعيك الي بان افتح لك باب الحيلة في تحايلك لاني ابصر
باخلاق الانس وعاداتهم واهدى الى وجه الخلاص منهم وساتبعك واكون
لك خادما ما بقيت ثم انهما اتفقا على انهما يتظاهران بالاخر ... موضا نصيب
الابل والفيلة في اعمارها فاذا فاسار عدت الخادمها حتى كاد يسقط فعلا بج
بالبحر ويحمل على السبيل الهون فلما تظاهر الفيلان بذلك سارع السواس الى مداواتهما
واخرجوهما الى الصحراء فسيروهما فلما بعد الفيلان عن العمارة وامكنهما فرصة
الهرب تداخلا في الفيلة الوحشية فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكر ث
فلما وعى ازدشير مقالة وله بابك ما طرف عموما يعتريه في امره وقد تبين
من جانبه الى ما يريده منه ثم ان [illegible] امر بابك بان يلبسه حتى خلعه
واموال مستودعات ذخايره يحمل بجانبها وبينهما على مراتبها

الي علي

الي علي اخرها ثم اقبل عليه فقال له بابك لمن ترك هذا اقسمه لم توجب
اليك من نفسك واحق به منها فقال بابك ان اذن لي الملك السعيد ضربت
له مثلا فيه جواب ما سالني عنه فقال له ازدشير هات ما عندك في ذلك
فقال بابك ذكر ان راعي بقر كان يرعى على اهل قرية فيحسن لبقرهم السراح والـ ح
فلبث بذلك برهة طويلة من الزمان وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما
يعرفوه من بركة سعيه وتمهر رعيه وكانوا لا يسالونه عن شي من امر بقرهم التي
اسلموها اليه رضى به وطمانينة الى امانته وكفايته وكان يقال الوثوق
موموق والامين بالمودة حقيق وكان يقال الاحسان والامانة يملقان بكل
لسان وامكان عند كل انسان مر وكان الراعي ياوي عند المقيل الى صومعة
راهب فيستظل في ظلها ويكثر التاوه ولا يبين لما يناله من التعب فيما بانه
وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامرته له رقة فاطلع عليه يوما فقال له
ايها الراعي مالي اسمعك تكثر من التاوه فقال الراعي [illegible]
حفظ صفة البقرة التي عندها ونتبع المرعى المخصبة بها فاني اوهم ذلك بما

يعجز عنه غيري واحمل على نفسي المشقات في حصوله فقال له الراهب فما الذي
دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح هواها وتعبك واعزب البدن ولحق
بنفسك فقال الراعي اني لو لم افعل ذلك لما بلغت هذه البقر من السمن والوفور
ما ترى ولقد كانت يوم وليت امرها قليلة العدد كثيرة العجف بكية الضرع
يائسة من منافعها ولا انما ايا فقال له الراهب لقد صدقت عن مسالتي حيث من لم
يولها قبلا الاول ملوا بها ما لا اني انما سالتك عن سبب حملك على نفسك لجزها
وايثارك من سواها لجزها فاخبرني بعد ما لك وسيما عمالك الان
فما افادك حميد سعيك وسديد رعيك فقال الراعي افادني الحين من البقر
لاني اكل من لحوم ما سقط منها ما شئت واطعم من شئت واشرب من البانها
وغير ذلك من منافعها نحو البانها والكبير واتجر بها من الارض حيث شئت فهي
في الحقيقة في يدي فقال له الراهب هذا زعم راهب كان حاكما ثم عند
نظر عنه فقال الراعي اخبرني عن ذلك فقال الراهب انه كان في ... شعب
بساحته دير كان حسن البناء فتيلت حيطانه وفسد بنيانه لطيب تربه و...

ارض

ارض انيقة فيها ذات ماء عذب وفي ذلك الدير نفر من ضعفاء الرهبان
ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلدا معمارا فاصلح
ما سلم من بنيان الدير وعمر الارض التي عنده واحتفر سواقيها واجرى ماها
وغرس فيها صنوف الاشجار ودرت منافع الدير وقصده الرهبان فاوطنوه
وسادهم ذلك السائح واتخذ العبيد والدواب آلة عمارة الارض واستصلح
اى جعل جميع ما يأتى للدير من خيره امره حاكما عليه
لعمارة الا ان هو سببا
الى ارض الدير ما جاورها وغرس فيها من الكروم والزيتون واللوز شيئا كثيرا
فعظمت به المنافع وكثرت الجباية ورغب السائح في جمع الدنيا وحرم الساكنين
والحد كثر اهتمامه في اغرب مدة وكان يقال المال كالماء فمن استكثر منهم
جعل له مسربا يتسرب فيه ما زاد على قدر الحاجة غرقه وكان يقال
المواساة في المال والجاه عوذة لبقائهما ولما عامل الراهب السائح من معه
الدير بالحرمان واستاثر دونهم بالمال الكثير واشتكاه فيه فجعل القالة فيه واجرا
تلبيه من كل ناحية [illegible] فجاءوه وادعوا له
الانصاف والمواساة فيما بينهم فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي كسبته

من كذبٍ واستعلم غضبه حمد بعي فقالوا بل هو مال الله ولكل واحد
منا فيه حق وكل الفضل علينا بتنميته وصونه فقال لهم ستعلمون مال
من هو فلما جن عليه الليل امر عبيده فعقروا الفدادين والف ثيرانه
اي قتلوا
والفلاحين فاصبحت مصرعة فالتمس [illegible] فاتوا الملك فاخبروه بما حدث
[illegible] لا يعلمون لمن هو الفاعل لذلك فجرحهم وقال لهم انه مالي فلا عليكم منه بقي
او ذهب فطلب النعمة فثاروا عليه فاهانوه وضربوه وطردوه فخرج من البلد
على الحالة التي دخل فيها فلما حصل بظاهر البلد [illegible] وغربته
فراى منظر [illegible] في نفسه الصعد [illegible] متحسرا على ذهاب شبابه وقوته ونعمته وعزه
فلما عز عليه [illegible] كانت عاقبته الى المزابلة والانتقال منه على حال هوانه
وفاقه وضعف بحق قالت الحكماء الدنيا سبيل لمعبر ولا [illegible] ومن سالكه
مغرور [illegible] وقالوا الدنيا جسر من عبره [illegible] افضى الى قرار [illegible]
[illegible]
والعاقل من اقام من [illegible] لها [illegible] الاستعداد [illegible] الدائم المحكوم [illegible]

هكذا من غر مكم [illegible]

وما [illegible] ذالك الى [illegible] امسك [illegible]

المشئوم والاستكثار منها فيبغض ذلك وقالوا ان الخروج من الدنيا [illegible]
نقص ولكن قد تهيا رياضة النفس عليه باستشعار الزهد في الفاني العاجل
والاستكثار من العمل النافع في الاجل وقالوا التمتع في الدنيا بضاعة حسرة وبالها
عاد الى سياحته فعل ما [illegible]
ويوكد غصه اعقابها ثم ان الراهب [illegible]
ان هلكت ● فلما وعى الراعي مقالة الراهب وفهم المثل الذي ضربه له واستعبر
[illegible] من الحكم قال له جزيت من ناصح خيرا [illegible] عندك فقد
[illegible] ● الراهب الراعي
اوضحت لي غلطي في [illegible] ما استرعيته [illegible] واثنيت عليه
او كشفت لك [illegible] على نفسك [illegible] ضا ●
كامله [illegible] مستحيله فارود البقر الى اهلها واعمل في خلاص نفسك [illegible]
الضارية ● والافاعي [illegible] ● والكلاب العاوية ● والعقبان المحلقة ● [illegible]
[illegible]
[illegible] قال الغلام [illegible]

والمرء لو ازدجر منا بالأملاك في قبوله من المقال [illegible] من [illegible]

ثم [illegible] المثال [illegible] مصطلح المثال [illegible]

[illegible] قال عبد الله الفقير إليه الغني به

محمد بن [illegible] أبي [illegible] [illegible]

[illegible] ما أوردت [illegible] وأنا أعوذ بالله من [illegible]

الإعلال كما أعوذ به من غائلة الإعجاب واستكفيه عن السؤال

كما أستعفيه عن الجواب واسترشده [illegible] كما [illegible]

وكسب الصواب [illegible] التواب

كمل كتاب السلوانات والحمد لله حق حمده

وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده

وعلى آله وصحبه وحزبه صلاة دائمة إلى يوم الدين

وكان الفراغ من نسخه في [illegible] من المحرم سنة إحدى وخمسين [illegible]

نفع الله به صاحبه وكاتبه [illegible] والناظر فيه وجميع المسلمين آمين